إلى القارئ

الرحلة الباريسية

بقلم: البشير بن سلامة

كان للزيارة التى قام بها الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول ومدير مجلة « الفكر » الى باريس فى غضون شهر مارس 1985 والتى انتظم بها فى رحاب الصربون حفل تسليم ميدالية هذه الجامعة اليه كمفكر وفيلسوف تونسى عربى ، الاثر الكبير فى نفوس التونسيين بصفتهم عربا ومسلمين وخاصة وهو أول عربى نال هذا الاستحقاق . (راجع على صفحات المجلة بباب أصداء وقائع هذا الحفل وكذلك خطاب الاستاذ محمد مزالى ص. ص. 7 ــ 12) . ولم تكتس هذه الزيارة صبغة سياسية فقط بل كان لها جانب حضارى ثقافى سواء فى اهتمام المحافل الجامعية الباريسية عندما سلمت الى الاستاذ محمد مزالى السيدة أوفيلير عميدة جامعات باريس ميدالية الصربون فى حفل مؤثر أو فى تسليم السيد شيراك رئيس بلدية باريس ميدالية المدينة أو فى المساجلة السياسية الحضارية التى واجه بها الاستاذ محمد مزالى فى اذاعة الكسمبور وتلفزتها جمعا من الصحافيين بهذه المؤسسة وبجريدة « لوموند » .

وليس فى ظني أن أعيد على هذه الصفحات ما كتبته الصحافة التونسية وغير التونسية ــ مما سيجد القارىء الكريم نبذة منه فى هذا العدد وفى العدد القادم ــ بل إننى عندما حضرت هذه الوقائع كلها فى اليومين الزاخرين باللقاءات تمثلت الحدث فى تسلسله التاريخى الحضارى وربطته بتاريخ تونس منذ ما يقرب من مائة وخمسين عاما باعتبارها جزءا من العالم العربى الاسلامى له مع الغرب تاريخ طويل وخطب عظيم .

ولم يكن من الهين على الا اتاثر بذاك الموقف الجليل فى رحاب الصربون وألا أستعيد شريط لقاءات التونسيين فى مدينة الانوار بباريس منذ أكثر من

قرن وأن أقارن بين وقفتهم وهم مبهوتون مبهورون بما وجدوه في هذه العاصمة الاوربية من تقدم وعلم ونظم ووقفة الاستاذ محمد مزالي امام عمداء جامعات باريس واساتذتها وأمام أعضاء الاكاديميات وأساتذة الصربون : وقفة الاعتزاز والشهامة لا وقفة المبهور المفتون وموقف الغيور الفخور بلغته، المتمسك بحضارته وثقافته المتعلق بوطنه وأمته لا موقف التابع المافون والمبهوت المجرور كما حكى ذلك ابن أبي الضياف في كتابه الاتحاف .

وإنه لمن حسن الطالع والسعادة المثلى أن أحضر مع اخوان تونسيين وأشقاء هذا الحفل الذي ابرز فيه الاستاذ محمد مزالي مآثر الحضارة العربية الاسلامية وتاثيرها على الحضارة الغربية وبين فضل هذه الحضارة عليه ليظهر بفكره وقد تالفت فيه عصارة الحضارتين ولباب الثقافتين ليكون موقفه هو الخط الأمثل لما يجب ان يكون عليه حوار الثقافات بل تمازجها ولما يقتضيه السلم في العقول والطمانينة في النفوس من تسامح ورحابة صدر وتكاتف وتعاون مثمر.

وان الذي أريد أن أؤكده في تعليقي على هذا الحدث هو أن ما تم ممثلا في شخص محمد مزالي من الناحية الفكرية والفلسفية يعد في رأيي خلاصة جهد هذا الشعب وجهاده الممثل في شخص المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبه الذي فهم قبل غيره من الناحية الحضارية والسياسية خطر الرهان وذلك في احلك عصور الاستعمار وأبشعها .

وليتبين القارىء الفارق بين ذاك الماضي الذي يظنه الكثيرون بعيدا ، وبين هذا الحاضر الذي يستهين البعض بمآثره ويمر عليه البعض الآخر مر «الكرام» فلا باس من التذكير ببعض الاحداث والمواقف ولو أن الذكرى لا تنفع الا المؤمنين في انتظار أن تلحق الهداية بمن لم يعمر قلبه الايمان ومن لم يسكن عقله العلم والمعرفة وانتصب محتكرا للحكمة والحقيقة ناصحا مرشدا ، متلقطا للسقطات راجما بالغيب ، مشيعا للاراجيف ، مغضيا عن الحسنات مضخما للمعايب .

انه لا يمكن لمن عرف تاريخ تونس الحديث أن ينسى تلك الرجة التي عرفها المجتمع التونسي إثر احتلال الجزائر سنة 1830 وتاثير الغرب في حياته وخاصة الفرنسيين منهم وما كان لأحمد باشا من همة في « الاخذ بوسائل التقدم وعزيمة ثابتة على الاصلاح » بتاثير الوزير مصطفى صاحب الطابع . فانشا بعد سنة من توليه اي سنة 1838 مدرسة باردو الحربية التي جمعت بين تعليم اللغة

الايطالية والفرنسية والعلوم الحربية وبين تعليم اللغة العربية والتربية الدينية وكان قابادو هو الذى اضطلع بهذا التعليم وخاصة ترجمة كتب أوربية فى الفنون الحربية وعهد بالاشراف على هذه المؤسسة لخير الدين العارف باللغة الفرنسية ثم بالعربية فى تونس .

ووصل الانبهار بالغرب الى حد توجه بسببه احمد باشا الى باريس بنفسه فى رحلة رسمية سنة 1846 « صحبه فيها كثير من وزرائه وقواده ورجال حاشيته وكان ذلك فى عهد الملك لويز فيليب ونظام دولته الملكى الديمقراطى ففتحوا اعينهم على حياة باريس الباهرة ونظمها وحضارتها ورجعوا مبهوتين يفيضون من الاحاديث ما أصبح فى الحياة الشعبية مادة للتنكيت والاساطير وأصبح فى الحياة الفكرية توجيها لحركة الاصلاح وطابعا لتطور الادب الراقى . وتتابعت رحلات رجال الدولة الى فرنسا فيما بعد فكان فى الراحلين من أمراء البيت المالك ورجال من الوزراء والقواد منهم زعيم العصابة الاصلاحية خير الدين وعضده حسين » (*) .

واذا كان هذا الانبهار قد رافقته نزعة اصلاحية ظاهرة فانه رغم تمسك النخبة كمصطفى صاحب الطابع ثم قابادو وخير الدين واحمد بن ابى الضياف ومحمد بيرم بالنظرة الخلدونية وبالاصالة الاسلامية لم يكن من السهل على هؤلاء التشبع بالثقافة الغربية التشبع الذى يجعلهم يقدرون على مخاطبة الغرب بلغة هى تاليف بين ثقافتهم الاصيلة وبين ثقافة الامم الغالبة بل كان همهم أن يقلدوا ما وسعهم ذلك ويسلموا بالغلبة والتبعية . ورغم أن ما سنوه من عمل اصلاحى كان فى امكانه أن يخرج البلاد مما كانت فيه من تاخر وجهالة فان تضافر القوى الهدامة وأصحاب المصالح المحيطين بالباى والمرتبطين بالاجانب ثم انتصاب الحماية كان كذلك تعطيلا لذلك السير فاصبح هم النخبة فيما بعد هو الدفاع عن شخصيتهم العربية الاسلامية والتنبيه الى تدهور الحال حتى ان الحركة السياسية الاولى المنظمة كان فيها اعتراف بأن تونس قد فقدت كل مقوماتها فهى شهيدة جديرة بالبكاء والنواح والرثاء وهى تنتظر العطف من المحافل السياسية الفرنسية .

(*) محمد الفاضل بن عاشور : الحركة الادبية والفكرية فى تونس ، القاهرة 1956 .

ولم يكن ذاك التمشي الا صورة من الانبهار والتبعية وما أن جاءت الثلاثينات حتى انتشر الوعي واستفاقت الضمائر الحية وخلص الفكر من الخنوع وظهرت حركة فكرية وثقافية وسياسية نشيطة أهم ما فيها بروز الحبيب بورقيبه الذى أثار الانتباه بتفكيره الجديد المتمسك بشخصيته العربية الاسلامية ولكنه المعبر عن ذلك فى دفاعه عن وطنه وكفاحه من أجله بلغة يفهمها الغرب وينفذ الى مراميها . فكان ذلك بدءا فى الواقع للخروج من الانبهار والخنوع والتبعية وحث الشعب على رفع رأسه أمام الغاصب الغالب . وكان الانتصار السياسى والاستقلال وخوض سبل التقدم والازدهار الثقافى والحضارى ومحاولة ضرب كل تبعية مقيته والدخول فى حلقة الابداع والابتكار فى جل الميادين سواء كانت سياسية او اقتصادية أو اجتماعية .

وإن محمد مزالى بما له من كفاءة وقدرة على الاحاطة بهذا الجهد المستمر والجهاد المتواصل لكل القوى الحية فى البلاد بدعم وتوجيه من صانع مسيرة خلاص الشعب التونسى الرئيس الحبيب بورقيبه ليس الا رمزا لهذه المسيرة التى أوصلته الى رحلته الباريسية التى لم تكن كرحلات المصلحين الاول بل هى رحلة يمكن أن تعد تحولا فى تاريخ تونس لانها ترتكز على نظرة هى السبيل المثلى لاحلال الوئام بين البشر وللخروج من المسالك التى لم تؤد الا الى الحروب والاستعمار وجعلت أمما تغذت فى الواقع من نبع واحد تتصادم فى عنف وتديم الاحن بينها .

فلعل هذا الحدث الذى فيه اعتراف من صانعى الافكار والمذاهب في جزء خطير من أوربا بانه فى الامكان احلال الحوار محل الشعور بالتفوق وأنه ليس من نجاة للبشر فى هذه الحقبة المنذرة بالدمار الا الانصات المتبادل والتراشح المتواصل أى السلم المثمرة للخير العميم .

فهل يتواصل هذا المسعى مع رجالات آخرين من بلاد العالم الثالث فتتغلب بذلك كفة التفاهم والحوار البناء على كفة التحديات ومظاهر التفوق ؟ وعلى كل فشتان بين الرحلة الباريسية بالامس البعيد والرحلة الباريسية اليوم !.

البشير بن سلامة

لاتفاوت بين الثقافات

بقلم : محمد مزالي

حضرة السيدة رئيسة الجامعة (*) ،

أيهـا الزملاء والزميلات ،

أيتها السيدات ، أيها السادة ،

انه لا مناص لي من ان اعترف ـ وانا في هذا الموقف الذي يتوجب

فيه الشكر ـ بأنني اشعر بالامتنان وآيات العرفان نحو والدي ، ونحـو كـل من علمني ، منذ ان كنت صبيـا بالمدرسة الابتدائية فـي المنستير الى ان وصلت الى رحاب (الصربون) ، وكذلك الى أصدقائي سواء كانـوا بتونـس أم بفرنسا أو بسائر انحـاء العالم . وبعبارة أخرى فاني لشاكر ومدين لكل الذين جعلوا مني ما انا عليه الآن ، وهيؤوني الى ان أكون عند حسن ظنكـم وجديرا بلفتتكم الكريمة .

وان ما احظى به من تقديـر واكبـار ليمـلأ قلبـي بهجة ويدفعني الى التعبير عما أشعر به من اعتراف بالجميل ايمانا مني بأن هذا التكريم يتجاوز شخصي ليشمل كل المثقفين في بلـــدي .

وانه حقا بالنسبة الى مفكر تونسي لشرف اثيل ان اكون أول مواطـن في العـالم العـربي تسند اليه ميـدالية الصربـون ، وهي أسمى استحقاق أكاديمية باريس ، ولكنه شرف قمين بأن يدخل الارتبـاك على من هم أرفع مني منزلة وأكثر معرفة وأقوم قيلا .

(*) هذا نص الكلمة التي ألقاها الاستاذ محمد مزالي في الحفل البهيج الذي أقيم على شرفه بجامعة السربون بباريس بمناسبة تسلمـه ميـدالية ديوان الجامعات الفرنسية التي منحتها إياه أكاديمية بـاريس بتاريـخ 1985/3/16 .

وانى اذ استمد من هذا التشريف النخوة والاعتزاز لبلادى لأؤكد لكم مع ذلك انه لا ينتابنى اى شعور بالخيلاء وهل من غرابة فى ذلك وقد اخترت على الدوام كمعلم لى وصفي حميم فى حوار خفي متجدد ذلك العبقرى الذى جادت بـه اليونان على البشرية ، وذلك الفيلسوف الحكيم الذى ساعدنى أساتذتى فى تونس وباريس على اكتشافه ، وذلك المفكر السامى الذى سوف يبقى مدى الاحقاب والقرون اميرا لجمهورية الفكر العالمى وأعنى به سقراط ! فبمخالطة مثل هـذا الرقيب الحسيب على الفكر تعلمت كيف ارفض على الدوام دعة التفكير وركوده ومـا فتئت اتدرب على تقدير الامور حق قدرهـا من خلال التساؤل الايجابى لأنه بناء فى آخر الامر !.

وانكم لتدركون دون عنـاء فى مثل هذه الحـال كيف اتمسك بشعـار سقراط المقتبس من معبد ابولو بمدينـة (دالف) والذى يقول : « اعـرف نفسـك بنفسـك » .

ثم اليست معرفة النفس الحقيقية هـى قبل كل شيء الاعتـراف بمـا يكون المرء مدينا به لغيره ؟ وفى هـذا اليـوم المتـاز كنـت اود أن أعبـر لأساتذتى الماسوف عليهم عما أحمله عنهم فى قرارة نفسى من ذكرى عظيمـة وما احتفظ به الى اليوم مـن اثر لا يقـدر بثمن تركتـه فى نفسـى دروسهم بالصربون ، واذكر من بينهم الاساتذة : غسطون باشلار وجان فاهل وبيار مكسيم شوهل .

ومن حسن الحظ ان بعض شيوخـى الاجلاء ما زالوا على قيد الحيـاة وانى اعبر عن تقديرى الخاص للاستاذ هنرى غوهى عضو المجمع الفرنسى ، كما ابادر بتقديم تحية بالغة التاثـر مشفوعة باحر العرفان للاستـاذ بيـار تيي الذى فتح فى وجهى بالقسم النهائى بالمدرسة الصادقية أبواب الطلب الفلسفى ، والاستاذ باترونـى دوغونديـاك الذى تفضل بالاشراف سنة 1954 على اعدادى لدبلوم الدراسات العليا . وكلاهمـا يعلم اننى بوفائى لسقراط انمـا احافظ علـى وفائـى للاصـول الحقيقيـة للثقافة العربية وللحضارة الاسلامية . وبما ان بعض الاباطيل لايمكن القضاء عليها بسهولة فانى اود ان اغتنم هذه الفرصة ، اذا سمحتم ، للتذكيـر بأن الفكـر العربى الاسلامى انما تغذى من الينابيع السقراطية وذلك من خلال افلاطون وخصوصا عن طريـق ارسطوّ . على انه ينبغى الا نبخس حـق اسهـامه الـذاتى الطـريف الذى لا يجسمه فحسب ابـن سينا وابـن رشـد (المشهـود لهما عادة بالفضـل) بل والفـارابى أيضا والغـزالى اللذان كان نصيبهمـا فى اوربـا الغبـن أو

النسيان حتى في ايامنا هذه ، في حين ان معاشرتهما لمن شأنها ان تدرب المرء على ان يبقى الفكر لديه يقظا والعقل وقادا .

وان هذه الحقيقة بالذات تلقى أحيانا شيئا من الانكار والمكابرة من قبل تاريخ الفكر والفلسفة المعاصرة . ومع ذلك فانه ينبغي لنا اذا ما أردنا تفادي عدد من المخاطر الثقافية ان نصل في خاتمة المطاف الى عدم الرضى بضروب التفاوت في تاريخ الفكر والى نبذ عدد من مفاهيم التحيز والحصر والتحديد .

وللجامعة الفرنسية دور كبير في اعطاء الحوار بين الثقافات الغربية والعربية بعدا يتماشى مع طموحاتنا البعيدة المدى ويتوازى مع موضوع هذا الحوار العميق عمقا قل نظيره . وحسبنا في الواقع اننا نعمل على تواصل سنة لم تمح من الذاكرة ولم تنقطع ابدا . ذلك انه عبر جبال الالب لم ينفك العلم والفكر العربيان بارزي الوجود وحتى النمط الجامعي العربي ما زال وارف الظلال في فرنسا .

ويمكن القول : إن العرب اذا هم استفادوا دائما من الغرب الذي فهموه فهما رائعا فانهم بقوا أولئك القوم الذين حملوا تراثا غنيا وخلقوا أفكارا جعلت أوربا وبالخصوص فرنسا تسمح بهم من غير انقطاع .

وعلى هذا المستوى الرفيع في فهم الامور يكون من فضول القول البحث عمن هو المدين للآخر وبأي شيء هو له مدين . وانه لمن حسن الطالع أن يكون الامر كذلك اذ أن دينا مقتسما قسمة عادلة بهذه الصورة هو أكبر ضمان لاقامة تعاون صادق يمكننا من بناء المستقبل الذي نتوق اليه ، وان فيلسوف الزمن الحاضر حيثما كان ليساهم بدون شك في تدعيم المعرفة وارادة المعرفة برفضه لاصناف القطيعة والتقسيم وبتنظيمه الخطاب حسب ما يقتضيه الاستمرار والطابع الكوني للامور .

ان من وراء ارادتي الشخصية داعيا آخر يقيني الوقوع في خطيئة الخيلاء . وهو داع عظيم الاهمية والشأن .

فقد أراد ديوان الجامعات الباريسية بدون شك ـ بمنحه اياي هذا الامتياز ـ ان يشرف البلاد التونسية ويعبر عن اكباره لرئيس الدولة العظيم الذي عينني منذ خمسة اعوام وزيرا اول له ، وهو الرئيس الحبيب بورقيبة رجل الايمان والنزاهة الذي اسس الجمهورية التونسية ورفع مرتبتها عالية بين الامم المعاصرة .

وتأريخ المجاهد الاكبر كزعيم وطنى لا يحتاج الى بيان ، وكذلك خدماته الجليلة كبان لدولة عصرية غنية عن التعريف . وسوف اقتصر امام جمعكم الكريم على التذكير بثلاثة جوانب هى فى نظرى أساسية وجوهرية :

1) ابدأ بالتأكيد على ان هذا الوطنى المخلص المتشدد فى الحق وهو عميد المجاهدين العرب والافارقة على دروب الحرية ، قد بقى صديقا مثاليا لفرنسا : وقد كان يقول لشعبه وهو على وشك الدخول الى السجن فى عهد الحماية يوم 11 جانفى 1952 : « ينبغى الا ننسى اننا مدينون لفرنسا بجزء هام من ثقافتنا . فالاستقلال لا يمكن أن يكون بالنسبة الينا انجرافا نحو الحقد ولا تأكيدا لارادة فى القطيعة . بل انه ينبغى ان يسجل على عكس ذلك نقطة انطلاق لقفزة عارمة نحو تعاون حر وتضامن دائم بين تونس وفرنسا . » وبمجرد ان استقلت تونس لم يتردد الرئيس الحبيب بورقيبة فى وصف التعاون بانه عمل عظيم كفيل بان يعيد لفرنسا وجهها الناصع ومجدها وعظمتها ووزنها فى العالم .

وقد كان يحرص دوما ـ سواء اثناء استقباله فى زياراته الرسمية لباريس من قبل المأسوف عليه الرئيس بومبدو او خلال استضافته بتونس للرئيس فرنسوا ميتران ـ على أن يحيى فى فرنسا علنا ذلك البلد الذى يعد : « مهدا لحضارة عظيمة » وان يعبر لها عن تقديره واكباره باعتبارها « موطن الحرية وحقوق الانسان والقيم البشرية » .

2) ثم ان رئيس الجمهورية التونسية كان القدوة بالنظر الى شعوب افريقيا وآسيا باعتباره محررا من نمط جديد . وفعلا فان هذا الرجل السياسى لم يقصر همه على الكفاح من أجل التحرر الوطنى بل انه قد جعل من سكان بلاده مواطنين لجمهورية عتيدة اذ هو حررهم من اغلال الجهل واعباء الخضوع للاقدار ، وخلصهم من قيود الظلامية والاستكانة .

وهكذا اقدم ، ولما تمض على الاستقلال سوى خمسة أشهر او تكاد ، وفى عالم اسلامى ما زال يعانى الركود والجمود على اقتراح تأويل عادل منصف لتعاليم الاسلام وعلى اقتحام ابواب ثورة اجتماعية حقيقية سليمة ومباركة .

وهكذا أصدر فى 13 أوت 1956 « مجلة الاحوال الشخصية » التى منعت تعدد الزوجات ومنحت المرأة التونسية حريتها وكرامتها وممارستها للمساواة الفعلية .

ولئن وجدنا اليوم تونسيا واحدا من كل اربعة على مقاعد اقسام الدراسة او مدارج الكليات ، فانه مما يلفت النظر ان يتعادل عدد الطلبة والطالبات فى الكليات .

وبعبارة أخرى فان المرأة بتونس مواطنة كاملة بدون عائق ولا ميز وهى زميلة للرجل تدرك على الوجه الاكمل معنى تكافؤ الحظوظ للجميع .

3) وأخيرا فلئن اعترف العالم ، بخلة حميدة ذات شأن للرئيس الحبيب بورقيبة بعد تحليه ببعد النظر ، فانه يعترف له بأنه جمع الى حصافة الرأى الشجاعة . فلقد عرف دوما باعتباره رجل الحوار والاعتدال كيف يتغلب على هجمات المتعصبين واعمال المتطرفين على اختلاف اصنافهم . وانى سوف لن اذكر فى هذا الصدد الا بحادثة بقيت دوما فى جميع الاذهان . فلقد وجد فى نفسه منذ عشرين سنة الشجاعة على المغامرة بحياته فى مدينة اريحا متحدثا بلغة العقل ومقترحا اقامة سلم عادلة لانها مبنية على أسس التسامح انطلاقا من شرعية الامم المتحدة .

لا يجوز ان اختتم كلمتى دون التعبير لك من جديد عن أحر مشاعر عرفانى العميق واريد أن أغتنم هذه الفرصة لابدى اعجابى بشخصك الكريم وبالخدمات الجليلة التى سخرت نفسك لها بصفتك عالمة وبصفتك مربية وبصفتك متصرفة فى حظوظ جامعات فرنسا . وان ما دأبت عليه من درس ذكى لفكر بيزنطة كان له فى ذلك ضلع كبير لا محالة . اذ قد عرفت كيف تحيين حقبة بألف عام من تاريخ مرموق ولكنك فهمت ان بيزنطة قبل ان يتملكها الاسلام كان للمواجهة والمنافسة والتلاقى مجال الفكر فيه بصيغتيه اليونانية والشرقية الى التعايش والتعاون مهما كان الامر . وانى لأعلم مساهمتك الشخصية لتشريف تونس فى شخصى .

وكذلك زملائى التونسيون الذين لبوا دعوتك فانهم يشاطروننى سرورى مدركين ان تونس بأكملها والجامعة التونسية قد نالتا هذا الشرف اذ نالنى . لذا فاننى لا اخفى عنك اننى اشعر بعبء ما اغدقت علي من محاسن لا اعرفها والحق يقال بالصورة التى ذكرتها .

وانى اصارحك بانى مدين فى الحقيقة لحسن الطالع بامور كثيرة . فقد كان من حسن حظى اننى ولدت بوطن صهره التاريخ وفى عصر هو عصر

بورقيبة . نعم انه من حسن الحظ ان يطأ الواحد منا تربة احتفظت ذاكرتها بتعاقب القرون فى مواكبها وما زال يهدهدها وقع خطى القديس اغسطينوس والعلامة ابن خلدون .

وليس من باب الصدفة اخيرا ان تكون من اجمل فترات حياتى تلك السنوات التى قضيتها بالذات فى الدراسة بالصربون ، وهى فترة بقيت عندى مطبوعة بجو من صدق العاطفة ومحفوفة بهالة من النور .

انى اجد نفسى اليوم ، عن غير قصد منى فى مقام الشرف ولئن كنت استحق مثل هذا الود منكم فان مرد ذلك بدون شك هو تعلقى بما فطرت عليه بلادى من نزعة انسانية كان قد عبر عنها شاعر قرطاج اللاتينى اللسان (تيرانس) احسن تعبير اذ قال :

«اننى انسان وليس شىء مما يتعلق بالانسان عنى بغريب»

وقد يوجد سبب آخر لهذه الصداقة اكثر صلة بشخصى فقد تعلمت شيئا رائعا من حياتى السياسية ومن خلال نشاطى الادبى وعملى كاستاذ وكذلك بفضل مجلة (الفكر) الادبية الثقافية التى بعثتها الى الوجود واديرها منذ ثلاثين سنة . نعم تعلمت ان حسن الحظ شىء لا بد من ان يكون المرء جديرا به . ولا يكون كذلك حتى يمارس المرء العدل ويرعى فى نفسه البر سواء كان نحو ابويه او اساتذته او وطنه .

واعتقد انى ما برحت متمسكا بهذا المثل الاعلى ، وقد تعلمت اثناء الطريق كيف ارعى نوعا آخر من البر له مسحة من الجمال الا وهو البر بالاصدقاء .

وانه ليسعدنى ان اقتسم معكم جميعا ايها الاصدقاء الاعزاء الحاضرون والغائبون على السواء ، مشاعر سرورى وابتهاجى .

محمد مزالي

في نخوة عيد الاستقلال

حَبيبُ الشَّعْبِ

شعر: محسن بن حميده

عَلَى قَدْرِ عَزْمِ المَرْءِ تَذْلِيلُهُ الصَّعْبَا
وَمَجْدُ الفَتَى إِرْضَاؤُهُ الخَلْقَ وَالرَّبَّا

وَنَذْكُرُ أَهْلَ الفَضْلِ فِي القُرْبِ وَالنَّوَى
وَنَسْتَبْدِلُ الأَبْعَادَ فِي ذِكْرِهِمْ قُرْبَا

وَمَا نَحْنُ بِالقَوْمِ الَّذِينَ تَنَكَّرُوا
وَلَا نَحْنُ بِالرَّهْطِ الَّذِي أَنْشَبَ الحَرْبَا

أَفَاعِيلُنَا بِيضٌ كَمَا يَعْلَمُ الوَرَى
وَعِزَّتُنَا فِي الكَوْنِ صَدَّعَتِ الغَرْبَا

أَقَرَّ لَنَا التَّارِيخُ بِالمَجْدِ وَالعُلَا
فَمَا حَدَّثَ التَّارِيخُ خَتْلاً وَلَا كِذْبَا

وَهِمْنَا كَمَا هَامَ المُتَيَّمُ بِالهَوَى
وَلَيْسَ هُيَامُ المَرْءِ يُكْسِبُهُ الذَّنْبَا

خُذُونِي إِلَى عَهْدِ الطُّفُولَةِ مَرَّةً
وَرُدُّوا إِلَيَّ العُمْرَ وَالمَنْهَلَ العَذْبَا

فَإِنِّـي أَرَى وَجْهـاً يَشِـعُّ ضِيَـاؤُهُ
كَمَا شَعَّ نُورُ الشَّمْسِ شَرْقاً إِذَا شَبَّا
وَإِنِّـي أَرَى قَلْبـاً يَسِيـلُ حَنَانُـهُ
رَفِيقـاً كَتَسْكَابِ الرَّحِيقِ إِذَا صُبَّـا
وَهَـذَا بِأُذْنِـي الصَّوْتُ عِنْـدَ اشْتِدَادِهِ
كَزَرْأَةِ لَيْثِ الغَابِ زَلْزَلَتِ التُّـرْبَـا
فَـذَاكَ حَبِيبُ الشَّعْـبِ آنَ شَبَـابِـهِ
وَقَـدْ أَزْمَعَ التَّحْـرِيرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ شَبَّا
وَسَـارَتْ بِـهِ الأَيَّـامُ وَالعَـزْمُ صَـارِمٌ
يُكَسِّرُ أَغْلاَلَ القُيُـودِ إِذَا هَبَّـا
فَحَـاوَلَ أَصْحَـابُ الظَّـلاَمِ مَهَـانَةً
بِهَا يَنْشُدُونَ النَّصْرَ وَالفَوْزَ وَالغَلْبَـا
فَمَرَّتْ عَـلَى الـدُّسْتُورِ أَكْبَرُ مِحْنَـةٍ
يُسَلِّطُهَا الطُّغْيَانُ يَنْوِي بِهَا كَسْبَـا
وَشُلَّـتْ مِـنَ القَـوْمِ الضِّعَـافِ عَـزَائِـمٌ
وَنَفْسُ زَعِيـمِ الشَّعْـبِ لاَ تَرْهَبُ الكَرْبَا
فَكَانَ بِبُـرْجِ الثَّـوْرِ لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ
يُفَنِّـدُ أَقْوَالَ السَّفَـاهَـةِ وَالكِـذْبَا
وَكَـانَ بِـأَعْمَـاقِ السُّجُـونِ يُخِيفُهُـمْ
وَيَبْعَثُ فِي أَعْمَاقِ أَعْمَاقِهِمْ رُعْبَـا
وَكَـانَ لَـهُ فِـي المَجْـدِ إِخْـوَةُ عِـزَّةٍ
فَدَوْا بِالشَّبَـابِ الغَضِّ مَوْطِنَنَا الخِصْبَا
وَكَانَ جِهَادُ العَـامِلِيـنَ مُبَـارَكـاً
فَذَادُوا عَنِ الأَوْطَانِ وَاسْتَسْهَلُوا الصَّعْبَا

وَكُنْتَ حَبِيبَ الشعْبِ روحَ جِهَادِهِمْ
تعلّمنَا الإقْدَامَ وَالطّعْنَ وَالضّرْبَا
وَكُنْتَ إذا جَنّ الظّلامُ بِأرْضِنَا
كَبَدْرِ السّمَا تَهْدِي بِأنْوَارِكَ الرّكْبَا
وَكُنْتَ حَبِيبَ الشّعْبِ أشْجَعَ فَارِسٍ
فَأكْسَبْتَنَا نَصْرًا وَنَالَ العِدَى خَطْبَا
وَمَنْ تَكُنِ العُرْبُ الكِرَامُ جُدُودَهُ
يَكُنْ سَعْيُهُ حَزْمًا وَمَكْسَبُهُ غَصْبَا
وَمَنْ يَحْمِ أوْطَانَ الجُدُودِ بِعَزْمِهِ
وَيُخْلِصْ إلَى الإسْلامِ أوْ يُنْقِذِ العُرْبَا
يَكُنْ حَمْدَهُ التّخْلِيدُ فِي جَنّةِ المُنَى
وَيُسْهِبْ لَهُ التّارِيخُ فِي مَا رَوَى حُبّا
فَدَتْكَ نُفُوسُ الحَاسِدِينَ فإنّهُمْ
يَذُوبُونَ غَيْظًا فِي حَمَاقَاتِهِمْ ذَوْبَا
وَأنْتَ الّذِي جَاوَزْتَ عَنْ سَقْطَاتِهِمْ
وَعَفْوُ كِرَامِ النّاسِ يُكْسِبُهُمْ غَلْبَا
وَأنْتَ الّذِي جَازَيْتَ كُلّ مُقَاوِمٍ
وَمَنْ – نُصْرَةً للحَقّ – لمْ يَقْتَرِفْ ذَنْبَا
وَأنْتَ الّذِي رَفّعْتَ رَأسَ بِلادِنَا
وَعَلّيْتَهُ شَرْقًا وَعَلّيْتَهُ غَرْبَا
حَيِيتَ رَعَاكَ اللهُ مِائَةَ حِجّةٍ
تَذُودُ عَنِ الأوْطَانِ كَرّ العِدَى غِبّا
فَهَذِي حَبِيبَ الشعْبِ حُرّ تَحِيّتِي
تَحِيّةُ إخْلاصٍ تَحِيّةُ مَنْ حَبّا

محسن بن حميده

الاسلام والسلام العالمي

د. محمد فاضل الجمالي

سوف اعتمد فى ما سادلى به على مصدرين رئيسيين . اولهما وهو الأهم القرآن الكريم ، وثانيهما خبراتى الشخصية فى الشؤون العالمية فى الخمسين سنة الاخيرة .

ولما كان من المفيد ان يبدأ الباحث بتحديد معانى الكلمات ويوضح مدلولاتها فيجدر بنا أن نعرف كلمة « سلام » التى هى محور حد بحثنا هذا . نحن نعرف ثلاثة أنواع من السلام على الاقل :

النوع الاول : السلام الذى يسود المقابر حيث لا حركة ولا صراع بين الاموات بل سكون وهدوء . سلام لكل المستريحين تحت التراب .

النوع الثانى : سلام العبيد والمستعبدين لانهم يعيشون فى سلام ظاهرى ما داموا مستسلمين لارادة أسيادهم ومستعمريهم . فكم من حاكم مستبد يقطع رؤوس المخالفين لرايه والخارجين على سلطته فينشر الرعب بين الناس فيعيش الكل بهدوء وسلام ظاهريين . وكم من سلطة استعمارية سلطت قوتها الغاشمة على الشعوب المحكومة فحققت سلاما ظاهريا موقتا كالسلام الذى حققته الامبراطورية البريطانية يوم كانت الشمس لا تغيب عن مستعمراتها . وهو ما نعت بـ « السلام البريطانى » (Pax Britannica) . إن هذا النوع من السلام ما يزال قائما فى العديد من أقطار العالم اليوم ولا سيما فى البلاد التى تمارس الديكتاتورية السافرة أو المقنعة فى الحكم وفى العلاقات الدولية .

النوع الثالث : هو سلام الاحياء الاحرار الاخيار الذين يعيشون فى عالم حر متحرك . عالم تسوده الحرية والحركية فى ظل الاتزان والانسجام والنظام .

هذا النوع من السلام يتطلب من الفرد ان يحقق السلام فى ذاته أولا . فلا تكون ذاته قلقة مبتلاة بداء الانفصام . بل تكون موحدة (بفتح الحاء) وموحدة (بكسر الحاء) للفكر والعاطفة والارادة . فلا تطغى العواطف والشهوات على العقل والروح ولا تطغى الانانية أو الغرور على سلوك الفرد ولا يبتلى بداء العزلة أو الانفصام .

هذا النوع من السلام يتطلب أن يسود المجتمع الوئام والانسجام والتعاون فى كنف الحرية والعدل والانصاف للجميع .

إنه يتطلب من الدولة أن تكون قوية متماسكة تحمى الامن والحرية والعدالة للجميع .

هذا النوع من السلام يتطلب من دول العالم كافة أن تقيم فيما بينها علاقات تفاهم وتعاون على أساس الحق والقانون ولا تتدخل احداها فى الشؤون الداخلية لدولة أخرى (ولا سيما الجيران) ولا تعتدى عليها .

هذا النوع من السلام يتطلب أن تكون صلة الانسان بالطبيعة صلة الصديق الذى يستغل خيراتها (فى حدود الكفاية) من جهة وينميها من الجهة الاخرى.

إن هذا النوع من السلام يتطلب من الانسان كفرد وكجماعة التكيف المستمر وفق التطورات الكونية من جهة ووفق التطورات العلمية والتقنية والاجتماعية من الجهة الاخرى . ولما كانت التطورات العلمية والتقنية والمفاجآت والانقلابات الطبيعية والسياسية تحدث بسرعة متزايدة هى أعظم بكثير من استعداد الافراد والمجتمعات للتكيف يبقى هذا النوع من السلام مثلا أعلى وحلما يسعى الانسان الى تحقيقه ما بقى النوع البشرى يحب الحياة الكريمة . فالعالم الذى نعيش فيه يبقى عرضة للهزات والمفاجآت وتظل البشرية تقاسى الويلات حتى تهتدى الى ادراك معنى قوله تعالى : « ... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... » (الرعد ١١) وتعمل بمنطوقها .

السلام العالمي في عالم اليوم :

لقد شهدت البشرية في النصف الاول من هذا القرن حربين عالميتين جلبتا على البشرية أهوالا وأحزانا لا توصف . هلك فيهما عشرات الملايين من البشر وتيتم عشرات الملايين من الاطفال وترملت عشرات الملايين من النساء .

أسست بعد الحرب العالمية الاولى عصبة الامم وكان مركزها في جنيف (سويسرا) . وأمل الكثيرون أن تكون العصبة هذه ضمانا للسلام العالمي ولتحرير الشعوب وفقا للمبدأ الويلسوني الذى يعترف بحق الشعوب بتقرير المصير . ولكن قوى الاستعمار طغت على قوى الحق والحرية فانحدرت البشرية الى هاوية الحرب العالمية الثانية . وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية (ربيع 1945) عقد في مدينة سان فرنسيسكو (الولايات المتحدة الامريكية) مؤتمر لوضع ميثاق الامم المتحدة الذى بموجبه أسست منظمة الامم المتحدة . كنت واحدا من الذين حضروا هذا المؤتمر وساهموا في صياغة الميثاق كما وقعت عليه باسم الحكومة العراقية آنذاك . كنا نؤمل (وكان التفاؤل سائدا) ان تكون الحرب العالمية الثانية خاتمة الحروب وان تدخل البشرية عهد سلام وأمان وتعاون وازدهار . وها نحن اليوم نتساءل هل انتهت الحروب بعد الحرب العالمية الثانية ؟ الدماء ما تزال تسيل في كل قارات العالم تقريبا : فها هو غزو اسرائيل للبنان ، وها هي مأساة فلسطين ، وها هي مأساة اريتريا ، وها هو الاحتلال السوفياتي لافغانستان ، وها هي مشكلة ناميبيا ، وها هي مشكلة كمبوديا ، وها هي مشاكل أمريكا الوسطى ، وها هي حرب الفولكلاند ، وها هي الحرب الطاحنة بين العراق وايران ! وها هي البشرية اليوم تخشى وقوع حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر . فالاسلحة الذرية والليزر والاسلحة الكيماوية والبيولوجية والقنابل العنقودية والحارقة والضاغطة والصواريخ عابرة القارات والدبابات والطائرات والغواصات تكفى لافناء البشرية من على وجه الارض في ساعات معدودات . والدولتان العملاقتان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي تتسابقان في التسلح . وبعد أن أعدتا كل ما يقتضى لافناء البشرية من على وجه الارض برا وبحرا وجوا بدأتا بالبحث عن وسائل الحرب في الفضاء وهو ما نعت « بحرب النجوم » . تعيش البشرية اليوم في كل مكان تقريبا بالقليل أو الكثير من الخوف والقلق على المصير . وتسود العلاقات الدولية التوترات والخلافات وتسيل الدماء في داخل بعض الدول وفيما بين دولة وأخرى هنا وهناك . كما نشطت منظمات الارهاب وانتشر داء الاغتيالات وحجز الرهائن وخطف الاشخاص بعد أن تعدد خطف الطائرات

وتنوعت وسائل التعذيب الوحشى الذى تمـارسه بعض العصابـات وبعض الحكومات فى سجونها ازاء من يعارضها .

وقد دل تقرير «لجنة العفو الدولى» (Amnesty International) لسنة 1983 على أن أكثر من ثلثى حكومات العالم اليوم لا تحترم حقوق الانسان فى ممارستها التعذيب أو اعدام الافراد . كل هذه الاحوال تحمل المرء على التساؤل هل ان البشرية سائرة فى طريق النعيم أو الجحيم ؟ إن ما يصرف على التسلح فى العالم اليوم يقدر بأكثر من 800 ألف مليون دولار سنويا حسب تقرير الامين العام لمنظمة الامم المتحدة لسنة 1983 . وهو مبلغ يكفى لضمان الغذاء والصحة والتعليم والانعاش الاقتصادى والثقافى للعديد من البلاد السائرة فى طريق النمو. وكان الاجدر أن يصرف هذا المبلغ فى سبيل الخير ولضمان الحياة الفضلى بدل صرفه فى وسائل الفتك والدمار وهذا يتطلب أن يســود العقــل وان تتغلب الحكمة والصدق والنزاهة والغيرية عند قادة العالم أجمع . وهو أمـر ليس بالمستحيل ولكنه بعيد المنال . إنه يتطلب الجهد والجهاد اللذين يدعــو اليهما الاسلام .

من العــوامل المخلــة بالسـلام العـالمى :

ان العوامل التى تعرض السلام العالمى للخطر عديدة ومنوعة . انها تختلف باختلاف ثقافات الشعوب واستعدادها الحربى ومواقها الجغرافية . ولا مجال فى بحثنا هذا للخوض فى بحث اسباب الحروب وجمـع الوثـائق والشواهــد المتعلقة بها اذ ذلك يتطلب جهود العديد من السنوات يتعهدها عدة اشخاص من ذوى الاختصاص فينتجون عشرات المجلدات . إنه موضوع خصب ولا شك وما يزال العديد من علماء الحياة والنفس والاجتماع والتاريخ يبحثـون عــن أسباب ومصادر العدوان والحروب لدى الانسان وطرق معالجتها .

فما سنورده فى بحثنا هذا هو ذكر بعض العوامل الشائعة التى خبرناها فى تاريخنا المعاصر : وها نحن نذكر على سبيل المثال :

(1) حب السيطرة والاستيلاء والتوسع مقترنا بالغرور والاعتداد بالقــوة. وهذا ما تمارسه الدول الاستعمارية عادة وتمارسه اسرائيل اليوم .

(2) النزاع على الحدود وملكية الارض وتقسيم المياه والتمسك بالحقــوق التـاريخية .

(3) عوز اقتصادى وضيق فى المجال الحيوى وتكاثر السكان وتعاظم الحرمان .

(4) الفوضى والاستبداد والفساد الذى ينتاب بعض البلاد الامر الذى قد يسبب الصراع الدموى فى الداخل ويفتح الباب لتدخل الاجنبى من الخارج .

(5) عقدة الاضطهاد ومركب النقص التى يمنى بها شعب من الشعوب أو فئة من فئاته الامر الذى قد يدفع الى ارتكاب اعمال عدوانية جنونية وهو ما انتاب إسرائيل فى اجتياحها لبنان (1982) .

(6) عقدة التفوق العنصرى أو الدينى أو العقائدى أو القومى الذى تمنى بها بعض الشعوب فيسود الغرور والتعصب الاعمى دفاعا عن العقيدة أو اندفاعا فى سبيل نشرها . وهو ما تمارسه جهات دينية وقومية وعقائدية وعنصرية فى العديد من اقطار العالم اليوم .

(7) المحاباة والتحيز فى معاملة بعض الفئات على أساس العنصر أو المذهب أو العقيدة أو اللون أو الجنس . وحرمان الضعفاء من نيل حقوقهم . كما يحدث فى جنوب افريقيا اليوم وفى أى بلد تهضم فيه حقوق بعض الفئات .

(8) ممارسة الغش والخداع فى صوغ الاتفاقات والمعاهدات والعمل بمبادىء لا اخلاقية فى العلاقات الدولية مثل : « نقض العهود » ، « القوة هى الحق » ، « الغاية تبرر الواسطة » ، « فرق تسد » ، « المجابهة بالامر الواقع » ، « قل شيئا واعمل العكس » ، وكل هذه واضحة فى ممارسات اسرائيل .

(9) الصراع العقائدى وانعدام الثقة بين قوتين كما هو الحال بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الامريكية اليوم .

(10) اختلال التوازن السياسى وضعف جهاز الامن فى داخل بعض البلاد ، الامر الذى قد يسمح لبعض المغامرين بتنظيم مؤامرات وانقلابات تعود على الامن والسلام بالويل والخسران فى تلك البلاد .

هذه نماذج من العوامل التى تقلق السلام فى العالم تدعمها فلسفتان :

الاولى : الفلسفة الطبيعية بمفهومها الفج الذى يرتكز على الحيوانية والميكانية فى فهم للانسان . فالانسان حسب هذه الفلسفة يخضع كسائر الحيوانات الى

قانون تنازع البقاء وبقاء الاصلح وقد يكون الاصلح يعنى « الأقوى » ولذلك فالحروب تصبح عاملا من عوامل ارتقاء البشر الطبيعى الذى يحتفظ بالاقوياء ويخفى بل يزيل الضعفاء من الوجود .

ولحسن حظ الانسان أن هناك فلسفة طبيعية حياتية تعترف بانسانية الانسان فلا تعرضه لصراع الغابة بل تعوض عنه بالتنافس الاخلاقى الشريف فى الالعاب الرياضية وفى الانتاج والبناء المادى والفكرى (الأدبى) .

والى جانب الفلسفة الطبيعية « الفجة » نضع الفلسفة النفعية الضيقة التى تضع السلام تحت رحمة المصالح والمنافع الآنية . فالسلام مرغوب فيه لضمان المصالح والمنافع . أما اذا انتفت المصالح من السلام وتحققت عن طريق الحروب فلتكن الحروب ولتشتعل المدن والغابات.والىهذهالفلسفة بشكلها الضيقينتمي تجار الحروب اصحاب معامل الاسلحة الفتاكة. فهؤلاء يعتبرون الحروب عاملا من عوامل الرقى الانسانى اذ فى الحرب ولاجل الحرب يشجع الابتكار والاختراع فى صنع المهلكات لاجل تحقيق الانتصار . ولحسن حظ الفكر الانسانى أن هناك فلاسفة ينتمون لهذه المدرسة ولكنهم ينظرون الى النفع العام للبشرية ولا يقتصرون فى نظرتهم على النفع الخاص كما تفعل النفعية الضيقة .

وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن أشير الى ما قلته فى خطابى فى مؤتمر باندونغ (أندونسيا) سنة 1955 بأن قوى ثلاث فى عصرنا هذا تعمل على الاخلال بالسلام العالمى :

القوة الاولى : هى الاستعمار الغربى القديم الذى كانت تمثله الدول الاوربية : بريطانية ، فرنسا ، بلجيكا ، هولندة ، اسبانيا ، البرتغال . وقد انحسر هذا الاستعمار الاوربى ظاهريا وأخذت امريكا تملأ بعض الفراغ الذى تركه الاستعمار الاوربى هذا .

القوة الثانية : هى الصهيونية العالمية واداتها اسرائيل . وهى ربيبة الاستعمار الغربى وأداته الضاربة فى الشرق الاوسط .

والقوة الثالثة : هى الشيوعية العالمية التى احتفظت بمستعمرات روسية القيصرية وأضافت اليها دول البلطيق (عدا فنلندة) وأجزاء أخرى من أوربا الشرقية . والشيوعية العالمية اليوم تتغلغل فى انحاء مختلفة من العالم وهى

تغزو العالم من الداخل على الاكثر عن طريق تعبئة الجماهير بنشر التذمر والاستعداد للانقلابات الدموية . ومن الخارج كما فعلت فى أفغانستان .

وعلى كل فالانسانية أمامها مشاكل عويصة وعقبات كبرى ينبغى ان تتغلب عليها فى مسيرتها نحو السلام المنشود .

القوى العاملة من أجل السلام :

لقد برز العديد من الساسة ورجال الفكر وعلماء الدين فى عصرنا هذا ممن يدعون الى السلام العالمى كما وجدت منظمات عديدة وقامت دعوات خيرة تعمل من أجل السلام فى مختلف اصقاع العالم شرقيها وغربيها وها نحن نذكر على سبيل المثال ما يلى :

(1) المهاتما غاندى : أبى أن يستعمل العنف فى مكافحة الاستعمار البريطانى للهند بل اكتفى بالمقاومة السلبية . والذى ساعده فى نجاح دعوته سعة الهند وضخامتها . اذ لو كانت الهند بلدا صغيرا ضعيفا لما نجحت المقاومة السلبية ولتطلب الامر كفاحا دمويا كما حصل فى كفاح الجزائر من أجل استقلالها .

(2) البابا يوحنا الثالث والعشرين : أصدر فى الستينات من هذا القرن مرسوما بابويا عنوانه : « السلام على الارض » (Pacem in Terris) وتبعه البابوات فى الدعوة الى السلام وفى الحقيقة إن رسالة المسيح عليه السلام هى رسالة محبة وسلام لبنى الانسان . ولكن فى المسيحية ازدواجية وانفصال بين الدين والدولة وفق « مبدأ ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . فاذا كانت الكنيسة تؤمن بالسلام وتنتمى الى الله فلا يعنى ذلك ان الحكومات المسيحية وهى تمثل « قيصر » سوف تلتزم بمبدأ السلام . فالعكس هو الصحيح فى العديد من الحالات .

(3) الفيلسوف البريطانى برتراند رسل : كان من أصدق وأقوى من عرفت من رجال الفكر الغربى فى دعوته الى السلام . وهو يمتاز بدعوته الى استعمال العقل . فالانسان لو استعمل عقله لحل معظم المشاكل التى تجابهه سلميا . برتراند رسل كان يؤمن بكرامة الانسان ويكافح الحروب والعدوان ويحذر من خطر الاسلحة النووية .

(4) المنظمات الدولية : منظمة الامم المتحدة والمنظمات التى تنتمى اليها : منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، منظمة العمل الدولى ، منظمة الاغذية العالمية ، منظمة الصحة العالمية ، البنك الدولى للاعمار ... الخ .

(5) جمعيات الامم المتحدة : وهى مؤسسات غير حكومية أسست للتعريف بمبادىء منظمة الامم المتحدة فى العديد من أقطار العالم .

(6) جمعيات حقوق الانسان : وهى مؤسسات غير حكومية هدفها الدفاع عن حقوق الانسان .

(7) جمعيات دينية وعلمية مثل : مؤسسة « اديان العالم والسلام » و « أكاديمية الاساتذة من أجل السلام » .

(8) جمعيات انصار السلام : وهى جمعيات ترعاها روسيا السوفيتية تدعو الى السلام وتعقد مؤتمرات يحضرها الشيوعيون على الاكثر .

(9) **جوائز من اجل السلام** : هناك **جائزة نوبل** من اجل السلام المفروض انها تعطى لمن يخدم السلام العالمى خدمة جلى . وقد أصبحت هذه الجائزة عرضة للسخرية حين منحت لمناحم بيغين (جزار ديرياسين) مناصفة مع المرحوم الرئيس محمد أنور السادات . وكان السادات نفسه رجل سلام .

وهناك جائزة يابانية تمنح لمن يخدم السلام العالمى عن طريق الدين .

(10) المظاهرات من أجل السلام : تقام مظاهرات بين الحين والآخر من أجل السلام هنا وهناك . فقد نسمع عن مظاهرات من أجل السلام فى اسرائيل . كما نسمع عن مظاهرات فى كل من بريطانيا والمانيا الفدرالية وإيطاليا احتجاجا على نصب صواريخ « كروز » و « برشنغ » الامريكية فى هذه البلاد . ونحن نميل الى الظن ان القائمين بهذه المظاهرات هم فى الغالب اناس مخلصون يريدون السلام حقا .

إن العديد من الجهود المبذولة من أجل السلام يعوزها الشمول والواقعية أحيانا. كما أن الدوافع وراء الدعوة الى السلام ليست كلها بريئة ومخلصة. فلا بد من البحث والتحرى عمن يدعو الى السلام للوصول الى الحقيقة عما يضمر .

نحن نفترض أن أكثرية الافراد غير المنتمين الى جهات سياسية خاصة ولم يساقوا كما تساق الانعام هم جادون مخلصون فى دعوتهم الى السلام . وهناك من يدعو الى السلام بلسانه والله أعلم بما فى قلبه . والبعض قد يمارس العدوان ومع ذلك فهو داعية سلام . وهذا أمر يصدق خاصة على بعض المسؤولين فى الدول الاستعمارية . نحن قد نسمع دعوات الى السلام والى

احترام حقوق الانسان . وحين نطالب بالسلام وبحقوق الانسان للعربى الفلسطينى نجابه فى الغالب آذانا صماء .

والشيوعية العالمية تدعو الى السلام وتعقد المؤتمرات العالمية لانصار السلام ولكنها دعوة للتصدير (على ما يظهر) أكثر منها للممارسة والتطبيق . فغزو افغانستان حاليا والمجر سنة 1956 وتشيكوسلوفاكيا سنة 1968 يدل على ان الاقوال قد لا تؤيدها الافعال . وهناك دعوة للسلام يراد بها الاستسلام . وهذا هو السلام الذى تنادى به اسرائيل وتدعمها فى دعوتها هذه الولايات المتحدة الامريكية ..

وفقدان الشمول وعدم الواقعية وخطر الازدواجية والمغالطة والخداع والرياء هى بعض العلل التى قد تمنى بها الدعوة الى السلام فى عالمنا اليوم .

الاسلام والسلام العالمى :

إن العرض الموجز (الذى بسطناه توا) لموضوع السلام العالمى وما يكتنفه من اخطار وتعدد فى الدوافع والافكار وضعف فى الضمير وقلق وخوف على المصير يصور الموقف الذى يتحدى الاسلام اليوم . وهو موقف يحوى الكثير من السلبيات وفى الوقت ذاته يحوى العديد من الايجابيات . فهناك جهود ومنظمات عديدة تعمل فى خدمة السلام العالمى . ولذلك ففى استطاعة المسلم المؤمن أن يقبل التحدى وأن يشارك فى السعى لتحقيق السلام العالمى معتزا بشخصيته الاسلامية وعقيدته التوحيدية .

ان المزية الكبرى التى يمتاز بها الدين الاسلامى الحنيف هى أنه دين التوحيد والاخاء والمحبة والحق والخير للبشرية قاطبة . إنه دين يدعو الى إعمال الفكر والتعقل بدافع الايمان والاخلاق . ليس فى الاسلام انشطار وازدواجية بين العلم والعمل وبين الاخلاق والعلم وبين العلم والايمان . فالسلام فى الاسلام يقوم على أسس راسخة من الايمان والاخلاق والعلم والعمل . والاسلام دين يتناول حياة الانسان كلها ومن كل جوانبها ظاهرها وباطنها خيرها وشرها فردية كانت أم اجتماعية . إنه دين يتسم بالشمول وبالتوحيد والانسجام والاتزان وبالتسامى والتطور نحو الاحسن والافضل . إنه جاء للبشرية كافة يدعوها الى السلام المؤسس على الايمان والاخلاق . ففى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ... »دعوة صريحة للمؤمنين من بنى الانسان فى كل مكان الى

الدخول فى حياة يسودها السلام على أساس الحق والخير واجتناب الشر والعدوان .

فالاسلام يدعو الى السلام الحقيقى الذى لا يعرف اللف والدوران ولا الغدر والعدوان . إنه يشجب الظلم والطغيان . كما انه يعلمنا كيف نبنى السلام وكيف نحمى السلام . فالاسلام اذن هو دين السلام . كيف لا ؟ والله سبحانه هو السلام ! فالسلام من أسماء الله الحسنى : « هو الله لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » (الحشر 23) . ولما كان الله سبحانه هو المثل الاعلى الذى ترقى اليه النفوس يتحتم على المسلم أن يتجه الى الله تعالى أى **الى السلام** طوال حياته . هذا هو الاساس فى التفكير الاسلامى حول السلام ، **القرآن الكريم يدعو الى السلام ويحبب السلام** الى النفوس . فقد قال تعالى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » (يونس 25) .

« يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » (البقرة 208) .

« ... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ... » (المائدة : 15 و 16) .

« وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم **تحيتهم فيها سلام** » (ابراهيم 23) .

هذا ومن الآداب الاسلامية المطلوبة « افشاء السلام » بين الناس فتحية المسلم لاخيه المسلم هى « السلام عليكم » !

إن هذه الآيات الكريمة وامثالها تدل بوضوح بأن الدين الاسلامى هو دين سلام ومحبة وليس دين سيف وحرب كما يصوره الخصوم .

إن السلام الحقيقى يتطلب **الايمان بالله** ومعرفة سنن الله فى خلقه واتباع أوامره واجتناب نواهيه .

والايمان بالله يولد السلام والطمأنينة فى النفس اى فى حياة الفرد . والسلام فى حياة الفرد هو الاساس فى حياة الجماعة . فالجماعة المتكونة من أفراد يسودها الامن والسلام اذا كان فرد من أفرادها مؤمنا . وها هى بعض الآيات الكريمة : تدعم ما نقول :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القـوب » (الرعد 28) .

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتـدون » (الانعام 82) .

« ... فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (سورة قريش) .

القرآن الكريم يعلمنا كيف نبنى السلام وكيف نحقق المجتمـع الصالـح وكيف يسود الوئام بين الجماعات والافراد :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن..» (النحل 125) .

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » (آل عمران 159) .

« وعباد الرحمن يمشون على الارض هونا واذا خـاطبهم الجـاهلون قالـوا سلاما » (الفرقان 63) .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم » (الحجرات 13) .

هذه هى الاساليب الانسانية التى يدعو اليها الاسلام والتى بها تـؤسس علاقات بشرية مؤسسة على السلام وعلى تبادل الاحترام بين الافراد والشعوب، وفى الوقت نفسه يدعونا القرآن لان نتجنب كل ما يؤدى الى الفتنة والخصام بين الافراد والجماعات ونطهر نفوسنا من الادران التى قد توقد نار البغضاء والخصومات بين الناس : وها هى بعض الآيات الكريمة الدالة على ذلك :

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » (الانفال 25) .

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ...) (الحجرات 12) .

« قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (الاعراف 33) .

« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » (الانفال 46) .

تبين من كل ما مر ان الدين الاسلامي بتعاليمه الخالدة هو دين سلام ودين هداية ووقاية لبني البشر كافة . إنه يهدي الانسان الى عمل الخير والبناء ويقيه من الشر والعدوان ، إنه يحض على ازالة العوامل المؤدية الى الحروب والخصومات .

الاسلام يحرم قتل النفس البشرية (الا بالحق) ويصور القاتل تصويرا يثير السخط عليه والازدراء به : ولنتأمل في قوله تعالى :

« واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لاقتلنك قال : انما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين ... فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين.فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال : يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين . من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ... » (المائدة : 27 ــ 32) .

ماأحوج الانسانية اليوم الى الاعتبار من هذه اللوحة الالهية المؤثرة . وما أحوج المسلمين اليوم الى الاقتصاد في ازهاق الارواح .

الاسلام دين سلام وليس دين استسلام :

إن الطبيعة البشرية تدلنا على ان الانسان مهما توفرت له وسائل التربية والتهذيب يبقى عرضة للخطأ وللوقوع في الخطيئة (الا من رحم الله) . ومن الخطايا التي قد يقع فيها الانسان **الاعتداء** على حق الغير . والامر هذا يصدق على الافراد كما قد يصدق على الامم . فموقف الاسلام ازاء العدوان هو رفض التهاون أو الاستسلام . فكل تهاون واستسلام للشر وللباطل يعني خروج على نواميس الخالق في الكون وفي الحياة الامر الذي قد يؤدي الى استفحال الشر بين الناس ولذلك فالقرآن الكريم **يدعو الى الجهاد** لمقاومة العدوان والفساد . والجهاد يتطلب الاستعداد . والاستعداد يتطلب وحدة

العقيدة والاتحاد . لدرء العدوان اذن شرع الاسلام الجهاد . والجهاد لا يعني الحرب بالضرورة . فهناك جهاد سياسي وجهاد اقتصادي وجهاد تربوي ودعائي فان لم تنفع كل هذه الجهود لدرء العدوان لا بد من خوض نار حرب دفاعية وقائية . فقد قال تعالى :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (البقرة 190) .

« لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون » (التوبة 88) .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... » (الانفال 60) .

فالاسلام يفرض على المسلم أن يتولى الدفاع عن نفسه وعن أهله وحلاله ووطنه ومقدساته اذا هوجم واعتدى عليه ولا يجوز له ان يعتدي على أحد . ولما كانت العلاقات الدولية والطبيعة البشرية عرضة للمفاجئات والاضطرابات فواجب المسلم ان يكون مستعدا ويقظا دوما للدفاع عن النفس والاهل والوطن وهو بذلك يضمن السلامة والسلام . اما اذا تهاون أو تراخى (كفرد وكجماعة) وأصبح مفكك الاوصال كما هي حال المسلمين اليوم فانه يصبح عرضة لتلقي الضربات والاهانات من اسرائيل ومن وراء اسرائيل وعرضة لان تسلب أوطانه وتداس مقدساته . والاسلام يأبى ذلك حتما لانه دين العزة والكرامة. دين سلام وليس دين استسلام. إنه يشتمل على كل ما هو حق وخير في الفلسفات المثالية والطبيعية والعقلانية والواقعية والعملية . إن الدين الاسلامي يدعو الى السلام وفي الوقت نفسه يضع الاسس الراسخة لبناء السلام ولحماية السلام . إنه يحوي كل ما جاءت به الاديان والفلسفات الحية من آراء صائبة وممارسات انسانية لتحقيق السلام العالمي على أساس الخير والحق والعزة والكرامة لبني الانسان في كل مكان . وللمرء أن يتساءل اذا كان قولي هذا عن السلام في الاسلام حقا فأين هو السلام في العالم الاسلامي اليوم ؟ أليس أكثر المسلمين اليوم محرومين من نعمة السلام والاطمئنان ؟ أليست العديد من العائلات الاسلامية محرومة من نعمة الصفاء والمودة والرحمة في بيوتها ؟ أليست الاحكام العرفية والسلطات العسكرية هي السائدة في

العديد من البلاد الاسلامية حيث تسود القلاقل وعدم الاستقرار ؟ أليست هناك خصومات وحروب وسفك دماء في داخل العديد من البلاد الاسلامية وبين دولة اسلامية وأخرى ؟

جوابنا على ذلك : إن المسؤولية لا تقع على عاتق الدين الاسلامي بل على العلماء والمربين في العالم الاسلامي الذين لم يربوا القادة والشعوب تربية تضمن لهم معرفة كافية لحقائق الدين الاسلامي وأسلوب تطبيقها في شتى مناحي الحياة . ولا سيما ممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . والعمل على تطبيق المبادىء التي دعا اليها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قال : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟ وحين قال : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

فعلى عاتق العلماء والمربين تقع بالدرجة الاولى مسؤولية اعداد القادة والشعوب في العالم الاسلامي ليمارسوا ويطبقوا في حياتهم الخاصة والعامة السلام الاسلامي ، سلام الاحياء الاخيار الاحرار لا سلام القبور ولا سلام العبيد والمستعبدين . وبذلك يكون للاسلام دوره وشأنه في تحقيق السلام العالمي .

د. محمد فاضل الجمالي

ننشر في الأعداد القادمة

دائرة الانهيار (شعر) .... البشير المشرقي
فارس الشعر أبو القاسم الشابي (شعر) د. عبد العزيز شرف
اثر الكلمة في الثورة الجزائرية (دراسة) علي عليلات
رحلة البشير صفر (دراسة) .... علي العريبي
الشدي (قصة) .... جواد صيداوي
هي الأقوى (قصة) .... عايده عبد الحميد

تحية الفكر في عيد ميلادها الثلاثين

شعر: د. مختار الوكيل

(مهداة الى المفكر الكبير الاستاذ محمد مزالى)

أَتَى الفجرُ يغزو سوادَ الليالي ... وقلبي يُغَرِّدُ لحن الجمالِ
يطوفُ مع الطير بين الجِنَانِ ... ويلثم أزهارها لا يبالي
ويستنطق الورد والياسمينَ ... ويحنو على الفل ضافي النوالِ
وَيرشف ماء الغدير الزلالِ ... فَيَسْكرُ منه بخمر حلال
لكَ الله يا قلبُ ، ماذا عراكَ ؟ ... فَصَفَّقْتَ في نَشْوَةٍ وابتهالِ
فقالَ فؤادي : لقد طافَ فَجْرًا ... على الوردِ ساقٍ نبيلِ المِثالِ
هو الملكُ المُسعِدُ الأَرْيحي ... كريمُ النوالِ ، عظيمُ الخيالِ
فتًى لم يَرُعْهُ لهيبُ النِزالِ ... ولم يخشَ في الحقِّ وثبَ الضلالِ
فحارَبَ (بالفكر) جهْلَ الحياة ... وَحَقَّقَ بالعلم أسمى مثالِ
فتى المَجْدِ يا رائعًا في الكفاحِ ... تَسَامَيْتَ مُنْفَرِدًا في الخِصَالِ
أَخَ الفِكرِ عِشْتَ حليفَ انتصارٍ ... تُحَلِّقُ كالنسرِ فوقَ الجبالِ
(ثلاثون) مَرَّتْ وأنتَ حَفِيٌّ ... بفكرٍ سما فوقَ هام الرجالِ
لكَ الله يا مولعًا بالخلود ! ... لكَ الله يا مغرمًا بالمعالي !

أُحَيِّيكَ ألفاً فتى المَكْرُمَاتِ … أُحَيِّيكَ مُفتخراً يا « مزالي »
لقد جئتَ (بالفكر) تغزو القلوبَ … بِعَذْبِ القصيدِ وَصَافِي المقالِ
غَدَتْ مِنبَراً لِكِرَامِ العقولِ … وساحَةَ عِلْمٍ وضيءِ الجلالِ
متى ينهض الشعبُ يبغي انتصاراً … فَبالفكر يهزم جيشَ الضلالِ
أُحَيِّيكَ يا قدوَةَ المُصْلِحِينَ … ويا بطلاً رائعاً في النِّضَالِ
هو العلمُ بُغْيَتُنَا في الكفاحِ … لِنَهْزِمَ كلَّ جيوشِ المُحَالِ
وقد عشتَ دهراً عدوَّ الضلالِ … تُضَحِّي بِجَاهٍ وتودي بِمَالِ
جمعتَ من المجدِ أطرافَهُ … كريمَ المقالِ وخَيْرَ الفعالِ
ورُحْتَ وإخوتكَ المُخْلِصُون … تُنِيرونَ بالعلمِ دَرْبَ الجمالِ
أُحَيِّي « البشير » رفيقَ الجهادِ … أديباً له السَّبْقُ في كلِّ حالِ
فتًى أبدع القصص العبقري … وجاءَ لنا بالبحوثِ الغوالي
همُ انطلقوا في صعيد الجهاد … يسيرون (بالفكر) نحو الكمالِ
هُمُ فتيةٌ آمنوا بالكفاح … فنالوا من الفوزِ أوفى منالِ
على دربهم فَلْيَسِرْ طامحٌ … لِيَبْنِي طوداً رفيعَ المِثالِ
فتى المجدِ يا شعلةً في الجهادِ … ويا نابغاً مُلْهَماً في الرجالِ
أُحَيِّيكَ ألفاً فتى المبدعين … وأُهديكَ زهرةَ حُبِّي المثالي
وما دمتَ (بالفكر) تُحيي النفوس … فإنّكَ تغزو النُّهى يا « مزالي »

الدكتور مختار الوكيل

الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس

بقلم : د . محمد الصالح الجابري

من الانصاف أن نذكر بأن معظم شعراء الجزائر الذين كتبوا فى تونس وفى غير تونس لم تكن دعوة الكيان والوطن الجزائرى فى نظرهم منفصلة بأى حال من الاحوال عن قضية ارتباطات هذا الكيان بجذوره العربية الاسلامية ، بل كانت الدعوة الى كيان جزائرى مستقل فى نظرهم تعنى فى جوهرها عودة الى ذلك التاريخ العربى الاسلامى الذى يحاول المستعمر طمسه وتشويهه بشتى الاساليب ليفرغ الكيان الجزائرى من محتواه الحضارى . ومن ثم يتم له تطبيق سياسته الادماجية والاطباق عليه . والحاقه بفرنسا (الأم) ، ولذلك قلما نعثر على شعر فى هذا الصدد لا يصل الماضى بالحاضر ، ولا يعبر عن السخط على الحاضر لانه لا يمثل الماضى تمثيلا ناجعا . وقد لاحظنا ذلك جليا فى قصائد مفدى زكرياء والسعيد الزاهرى وغيرهما ، ممن تناولوا موضوع الكيان الجزائرى .

ولا بد من التسجيل كما يقول عبد الله ركيبى : من أن « الشعراء الجزائريين لم تطغ عليهم أحداث وطنهم المحلية . ولم يفرقوا فى قضاياهم الداخلية وانما تفاعلوا مع واقعهم وتفاعلوا ـ فى نفس الوقت ـ مع الواقع العربى ، وشاركوا فى قضايا عربية كثيرة وفى مقدمتها قضية فلسطين ... وكان تفاعلهم مع هذه القضايا بوحي من احساسهم العميق بعروبتهم وبأن الجزائر جزء من الوطن العربى الكبير » (1) .

ان ما تفصح عنه قصائد هذه المرحلة المبكرة هو أن شعراء الجزائر كانوا لا يفصلون بين الدعوة الوطنية المتحمسة لكيان جزائرى ، وبين الدعوة الى تعميق صلة هذا الكيان بالعروبة والاسلام . كما كانوا لا يفصلون بين مفهوم العروبة ومفهوم الاسلام . فبالفطرة ثم بحكم ثقافتهم العربية الاسلامية التى

(1) (قضايا عربية فى الشعر الجزائرى المعاصر) ص 20 .

تلقوها فــي جامع الزيتونة كانوا يدركون ادراكـا عميقا انهم ينتمــون الــى الحضارة العربية الاسلامية وان هذه الحضارة تمتد في تاريخهـم الى الاجـداد الذيــن كــان (مفدى زكريــاء) لا يفتـأ يكـرر ذكرهم فــي تفاخر ، وهـم (عقبة بن نافع) وموســى بن نصير ، و (طــارق ابن زياد) كما تمتد هذه الحضارة الى حدود البلقان ، وآسيا القصوى ، وتخوم افريقيا .

ولعل المفهوم السياسي للعروبة كقضية قومية لم يتضح في قصائد هؤلاء الا مع احداث فلسطين ثم عند قيام الثورة الجزائرية وهجرة الطلبة الجزائريين الذين تلقوا تعليمهم الثانوي بجامع الزيتونة الى المشرق العربــي للدراسـة حيث تأثروا بالمفهوم السياسي للعروبة .

لقد كــان الحس العربي لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين الــى تونس أسبق من الاحداث التــى ساعدت على بروز فكـرة القومية العربيـة كاتجاه سياسي ، منفصل عن مفهوم الاسلام . وكما سلفت الاشارة فــان هذا الحس برز منذ سنة 1911 في قصائد الشاعر (عمـر بن قــدور) أحد رواد النهضة الاصلاحية والداعية الاسلامي الذى تولى التعريف بالجزائر وقضيتها وكيانها عبر مختلف الصحف المغربية والعربية . ففي احدى هذه القصائد نرى الشاعر يذكر الشعب الجزائري بأرومتـه العـربية وباجـداده على سبيــل التفاخـر والتباهي والموعظة قائـــلا :

واذكـر سعـادة مـن تعاظـم سعيهـم ... يغـدى لمضجعـه السمـــاء يليـق
اعنــى بنى العرب الكرام ومـن غدوا ... ولهـــم علــى كــل الانـــام حقـوق
اهـل الوفاء سموا وهبـوا ، شمروا ... عن جهدهم ، واستبصـروا ليفيقـوا
ملكوا العـلا واستخرجوا رزق الثـرى ... وشرابهـم عـذب العلـوم رحيـــق .
يـا طالمـا بسطـوا العدالـة والنهى ... اذ لم ير (1) بين الانـام شقيـق (2)

ومثلما لا نجد عمر بن قدور يفرق بين العروبة والاســلام انما هما لديـه امر واحد بالنسبة للجزائرى الذى لا يعانى من مشاكل الاقليــات القومية ، ولا من الطوائف والاديان في شعب مزجت العروبة والاسلام فكره و وجهته ، كذلك كان مفدى زكرياء أكثـر الشعراء الجزائريين وعيــا بالعروبة ومفهوم الاسلام ، يراهما فكرة متلازمة لحضارة تحمل خلاص الكيان الجزائـرى مــن

(1) (المشيـــر) 6 اوت 1911 .
(2) يلاحظ الخلل بالبيــت .

الاخطار المحدقة به ومما يبيت له الاستعمار من مكائد التجنيس والادماج والتنصير .

وبقدر ما رأينا مفدى زكرياء يندد بكل المحاولات الهادفة الى طمس الكيان الجزائرى ، وفك روابطه العربية الاسلامية كان لا ينى مستصرخا الشرق والعروبة فى كل أقطارها وعلى مدى حدودها ، مستنهضا الهمم مؤكدا انتساب الجزائر الى الشرق دون الغرب والى العروبة والاسلام دون الانتماء الى الغرب وفرنسا ، كما تشاء السلطات الاستعمارية أن توهم الرأى العام الجزائرى والعربى وحتى الدولى .

نهوضا بنى الشرق الكرام ورحمة	لذلة اوطان تدق كاوتاد
نهوضا بنى افريقيا من سباتكم	فان عيون الحادثات بمرصاد
تناديكم الاجداد من رمم الثرى	فلبوا الى العلياء دعوة أجداد
نهوضا بنا نحو الحياة ونظرة	الى امة امست ضحية احقاد
كفانا وبالا من وباء ثقاتنا	وتمزيق مجموع وتشتيت افراد
فهل نحن الا امة عربية	شقيقة ارواح قسيمة اكباد
وهل نحن الا امة أحمدية	مقدسة غرا سليلة امجاد
وثيقة حب لا يفرق بينها	تباين مرعى فى سهول وانجاد (1)

على أن مفهوم الارتباط بالعروبة كقوة معنوية لدعم الكفاح الجزائرى ولتآصر هذه الاقطار مع القضية الجزائرية ، يتضح بصورة أجلى وأكثر تحديدا فى شعر مفدى زكرياء خلال مرحلة الخمسينات ، وخاصة بعد اندلاع الثورة الجزائرية ، وتنادى الاقطار العربية الى مناصرة هذه الثورة ودعمها اعتبارا للوشائج القومية . ولذا نجد شعر مفدى خلال هذه المرحلة يأخذ أبعادا جديدة ومحددة مختلفة كل الاختلاف عن التعبير العاطفى الشاعرى الفطري عن العروبة ، وتجاوز الاحساس المجرد الى المفهوم القومى المجسم بالمعنى السياسى ، بعد ان اتضحت الدعوة الى القومية وأصبحت منفصلة انفصالا واضحا عن الاسلام ، وان لا تراه يجاهر بذلك أو يؤكده أو يتبناه ـ وهو عربى مسلم فى معظم شعره ـ الا أننا نلاحظ ابتعاده الواضح عن دمج المفهومين مثلما كان فى شعره فى مرحلة العشرينات والثلاثينات .

(I) (النشرة الثانية ـ لمؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا) الذى عقد بالجزائر سنة 1932 ص I6 مطبعة الاتحاد ـ نهج الباشا عدد I6 تونس .

ففي احدى القصائد التى كتبها خلال مرحلة الثورة ، نرى الشاعر يحدد أقطار العروبة بأسمائها وبحدودها الجغرافية ، دون مرور بالتاريخ المشترك كما اعتاد أن يفعل مما يؤكد نظرته الى أن الاسلام كعقيدة أبعد من أن تدركها عبث السلطة ، ولكن العروبة فى الجزائر هى أقرب الى الضياع والتلاشى :

يا امة العرب الكرام كرامة — لك فى الجزائر حرمة وذمام
فى كل ارض للعروبة عندنا — رحم تشابك عندها الارحام
ان صاح فى ارض الجزائر صائح — لبته مصر ، وادركته شآم
فى المغرب العربى عرق نابض — يذكيه فى حرب الخلاص ضرام
عز العروبة فى حمى استقلالها — أيطير (مقصوص الجناح) حمام ؟ (1)

ان الاحساس بالعروبة والشعور بالانتماء الى الامة العربية كان احدى السمات البارزة فى قصائد شعراء المرحلة المبكرة لا الشعراء المعروفين فحسب ، وانما الشعراء المقلون أيضا والذين كانوا يحملون نفس الافكار وينتابهم ما ينتاب كل شاعر جزائرى من الجزع والهلع والخوف أن يفلح الاستعمار فى الحيلولة بين الجزائرين وماضيهم وأمشاجهم العربية ، وهذا (محمود دويدة) (2) احد هؤلاء الشعراء الجزائريين المقلين الذين نشروا بعض قصائدهم بتونس سنة 1926 يقف على اطلال العرب باكيا مستبكياً ، مستذكرا الارومة والجذور ، والافضال التى كانت للعروبة على الغرب منذ قيام بغداد الى أن خبا ذلك النور الساطع وبقيت الاطلال شواهد قائمة .. فلا يتمالك الشاعر الفتى الا أن يرسل دمعا سخيا يفرج عن مكروب الصدر :

وقفت برسم العرب وقفة خاضع — وقلت ضياعا ما نظمتم من الدر
معاهد كانت والورى فى جهالة — محط رحال العلم والعز والنصر
فلله ربع كم حبا الغرب سؤددا — ومجدا يحار فيه عقل فتى الشعر
يقول : انظروا ما شيدت يد علمهم — على الرغم مما غيرته يد الدهر
ويندب بدر العلم اذ كان ساطعا — ببغداد نبراس الحقائق والفجر
ويبكى ويستبكى فيرسل انهرا — من الدمع حتى فاض دمعى على صدرى (3)

---

(1) (اللهب المقدس) ص 51 .

(2) ولد سنة 1905 بقرية (الطهير) بقسنطينة ، تثقف ثقافة مزدوجة الى أن صبح معلما ، انظر ترجمة شعراء الجزائر للسنوسى ج 2 ص 141 .

(3) (تقويم المنصور) 1345 ــ 1926 ص 247 لصاحبه أحمد توفيق المدنى الملقب بالمنصور .

ولا يكتفي الشاعر (محمود بن دويدة) بهذه الوقفة الطللية على الطريقة الجاهلية كي يثبت أواصره العربية ويبكي المجد الغابر ، ولكنه يمتلىء بالحسرة والاسى كلما طافت ذكرى من الذكريات التى تشعره بانتسابه للعروبة الضائعة فى الجزائر ، وللحسب الذى غالته يد الاستعمار .

كانت المناسبة قومية هى اعتزام المثقفين الجزائريين اقامة حفل تكريم لامير الشعراء أحمد شوقى (1868 ـ 1932) بمناسبة تقليده الامارة تجاوبا مع الحفل الذى يقام له فى القاهرة بالمناسبة . ورغم أن الحفل أبطل بسبب تقاعس الشبيبة الجزائرية كما يقول تعليق السنوسى على هذه القصيدة فان الشاعر (دويدة) اغتنم هذه المناسبة ، لا لتكريم شوقى على البعاد وتكريم الشعر والعبقرية ، وتهنئة مصر وشعرائها بهذا الحدث فحسب ، ولكن كانت فرصة سانحة ليتذكر شعبه بالمناسبة وحاله الذى هو فيه ، يتذكر نسبه وحسبه العربى وقد غالهما الدهر وغدر :

شوقى اليك وان قصرت فى كلمى اهدى تحية شعب لج فى نصب
شعب توالى عليه الخطب يفجعه فى كل يوم بانواع من العطب
فلم يزل وصروف الدهر تؤلمه بين المخاوف يشكو حلمة الغلب
شعب بكى حين لا يجديه من احد عطف ، ولا زال دمع العين فى صبب
فلا تلمنى اذا ما قلت معتذرا انى امرؤ غالنى المقدور في حسبى (1)

اذن فقد كان بكاء الشاعر وحسرته بسبب ما يشعر به من طعن فى حسبه ، فى عمق جذوره العربية . ورغم أن بقية القصيدة تشعر بالقوة وبالاحساس بالنصر وتعد بغد ظافر ، تدور فيه الدوائر على الباغى وتنقلب عليه شر منقلب فان قائلها لم يكن قلقا على مصير الجزائر ككيان وشعب ومستقبل : بقدر ما كان متوجسا خيفة على الحسب العربى الذى كانت معاول المستعمر تطوله دون هوادة ، فالخطوب جسام ، بحاجة الى وقفة عربية فى مثل هذا الموقف كما يقول الشاعر (رمضان حمود) وهو يخاطب العروبة كلها تاريخا ودينا وارضا ينفخ فيها من صدره الموتور ، غضبه الدفين ، ويستفز فيها النخوة والامجاد أن تفيق من سبات طال أمده :

ايها العرب والخطوب جسام دون هذا العناء موت زؤام
ايها العرب والحوادث جاءت بمطرات كانهن غمام
ان يكن للحياة فيكم طموح فمن النطق والسكوت حرام

---

(1) « شعراء الجزائر فى العصر الحاضر » ج 1 ص 145 .

ناولوني يدا بها اتسامى ان قلبي لبا لعلا مستهام
ان نفسي الى المكارم تصبو ولها في سما البيان هيام (1)

الشاعر على صغر سنه يعجب أشد العجب من هذا الصمت المحير الذى تقبع فيه العروبة سواء في الجزائر أو في غيرها من الاقطار ، لا تحرك ساكنا ولا تترك ساكنا يتحرك . انه صوت شباب الامة التائقة الى المجد ، وهو جيلها الجديد الذى لا يصابر على الضيم واذا لم يكن له من السلاح سوى بعض أبيات من الشعر فلتكن هذه الابيات سلاحه . ينفخ بها الروح في القلوب الهامدة ويضرم بها النار في كل قلب ، ويستعمله في ساح النضال عندما يهضم الحق وتستحل الذمام :

انفخ الروح في القلوب بشعري ليت شعري ، وهل تقوم النيام
اضرم النار ان اردت بشعري فلشعبي في كل نفس ضرام
اضرم الشعر للنضال اذا ما هضم الحق واستحل ذمام

ان أضراب الشاعر (رمضان حمود بن سليمان) الذين كان حب العروبة متاصلا فيهم بحكم الثقافة والنشأة وبدافع حرارة الشباب وعمق الشعور بالانتماء العربى الاسلامى متعددون ، واليهم يعود الفضل في الحفاظ على الروابط الدموية والصلات القومية والروح الاسلامية التى تعتبر اسس الكيان الجزائرى ووجه اصالتها . وما الشاعر (بوليبينة محمد) الذى كان يكتب الى جريدة (الزمان) من مدينة قسنطينة الا احد هؤلاء الذين كانوا يغتنمون الفرص والمناسبات لاعتلاء المنابر والاشادة بالعروبة وتحيتها في وجه كل عربى ضيف على الجزائر :

احي الضيوف وجبال الغد اهني البلاد بذا الموعد
احي بني العرب تجمعهم روابط دينهم الامجد
احي الشباب نفوس الشباب بعثن العزائم من مرقد (2)

وأكثر المناسبات تكريما للعروبة وتخليدا لها ، هى المناسبات العلمية التى تتيح للشعراء الالتقاء بالشبيبة المدرسية في نهاية كل عام ، وتذكيرها بأمجاد آبائها في ميدان المعرفة ونشر العلم في كل الاصقاع وأن طلب العلم كان احدى السمات البارزة للحضارة العربية ، وانه بالعلم وحده تتأكد

---

(1) (تقويم المنصور) 1345 هـ ــ 1926 م ص 250 اصدر هذا التقويم احمد توفيق المدنى الذى كان يلقب نفسه بالمنصور .
(2) « الزمان » 13 أكتوبر 1932 .

عروبة الجزائر ، ويتأكد خروجها من البؤس الذى تعيشه فى ظل المستعمر ، لذا فقد اهتبل الشاعر (أحمد الغوالمى الميلى) فرصة انتهاء السنة المدرسية بقسنطينة ليوجه فى سنة 1949 نداءه الى طلبة احدى المدارس بالاقبال على العلم باعتباره احد وجوه العروبة ومطلب من مطالبها الخالدة .

وقد أراد الشاعر امعانا فى التأثير أن يتقمص شخصية الطالب المباهى بانتساب الجزائر الى العروبة ، وانتساب ابناء الجزائر الى طلاب العلم :

... جزائر من امة عربية — يحيط بها لطف من الله دائم
كتمت هواها فى الفؤاد كانني — جحود بنعماها كنود وآثم
سلكت سبيل العلم رغم مزاحم — فلاك فلم يراف عليك المزاحم
حديثك برء للعروبة مرهم — اذا أعوزت هذا الطبيب المراهم (1)

ولم تقتصر الدعوة الى العلم باعتباره كما أشرت ـ خاصة من خاصيات العروبة وكذلك باعتبار أن الاقبال على العلم هو بحد ذاته مناهضة للاستعمار واحياء لاصالة الامة العربية ولغتها وتراثها الفكرى ، ووصل الجزائر بالثقافة العربية ـ لم تقتصر هذه الدعوة على الفتيان وحدهم ولكنها كانت دعوة عامة الى الجيل كله فتيانا وفتيات لا تعصب ولا تفريق ولا انطواء ، فالمستقبل الذى يريده الشعراء للجزائر هو مستقبل الامة العربية حيث يجب أن تتظافر الجهود جميعا ، وتلتف كل السواعد ، وتلتقى كل الافكار لتعيد للجزائر وللكيان الجزائرى ما افتقده بفعل الضربات المتلاحقة من وجوه اصالته . ولا شك ان دعوة المرأة العربية ـ وخاصة المرأة الجزائرية التى كانت تعانى وحدها من اضطهادين : اضطهاد المجتمع المتخلف واضطهاد الاستعمار ـ الى التحرر وطلبها المساواة فى الحقوق والتحصيل العلمى لمما يسجل للشعر الجزئرى من الفخار وللشاعر الجزائرى من التنور والتطور الذهنى .

فبمناسبة ازماع : « بعض علماء قسنطينة على تأسيس حزب الاخاء العلمى » تخيل الشاعر (محمد الهادى السنوسى) حالة الفتاة الجزائرية ، وتقمص عواطفها ومشاعرها ليعبر بلسانه ولسانها معا فى قصيدة موحدة الأهداف والمشاعر عن توق الفتاة الجزائرية وطموحها المشروع الى المعرفة لتناصر الفتى وتخوض معه المعركة الكبرى ضد الاستعمار :

---

(1) « الاسبوع » أوت 1949 .

اخـذت تمد الـى النهـوض الجيـدا   لـمـا رات عـلـم الاخـا معقـودا
ومشـت تجـدد للبنـات مـودة   نحـو البنيـن الطالبيـن صعـودا
بنـت تمـت الى العروبـة نسبـة   حسنـاء تخجل فى الجمال الغيـدا
تفتـر عـن بـرد اذ ابصـرتـه   ابصرت منه اللؤلؤ المنضـودا (1)

ويتخيل الشاعر هذه الفتاة الجميلة التى تجسم فى نظره كل الجزائريات، وربما الجزائـر بأجمعها وقـد التقت بالفتيـان الانداد واخـذت على طريقة العربيات القدامى تباهى بالارومة ، وتصوغ أفكارها ومشاعرها شعرا مثيـرا يعبر عن وضعها ونظرتها للمستقبـل :

مـن انت ؟ قالـت : (اننـى عربيـة   اعتام بينكـم الفتـى الصنديـدا
طوفـت فـى شرق البلاد وغربهـا   حتـى نزلـت المنـزل المحمـودا
انـى وان كنـت الفتـاة فـانـنـى   ارجـوك فيمـا أبتغيـه عـمـيـدا
بلـغ مـن الفتيـات فتيان الحمـى   شعـرا يخـر لـه الشباب سجـودا
(إنـا عـلى مـا تعلمـون بحـالـة   ملئـت بها بنـت النبـوغ جمـودا
إنـا بنـات الشعـب فـى اميـة   مـلات رؤوس الناشئـات خمـودا
نـاشدتكـم باللـه والرحـم التـى   فـى الكتب مجد ذكرهـا تمجيـدا)

واستنادا الى هذه اللمحات القصيرة الخاطفة لهؤلاء الشعراء الذين كتبوا قصائدهم اما أثناء اقامتهم بتونس ، أو كتبوها من الجزائر لتنشر بالصحافة والمطبوعات الصادرة بتونس خلال الثلث الاول مـن هذا القرن ، يتضح لنـا ان هؤلاء الشعراء كانوا يعتبرون ان المقوم الاساسى للكيان الجـزائرى هـو انتسابه الى العروبة ، ولذلك دأبوا فـى هذه القصائد علـى تذكير الشعب بعروبته واصالته ولغته وتراثه وحضارته ، ويتوجهون بالخصوص الى الجيـل الجديد فى هذا الشعب فتيات وفتيانا لحهثم علـى طلب العلم باعتبار العلم أحد ركائز هذه الاصالة .

واذا ما اعتبر تفكير هـؤلاء فى العروبة تفكيرا فطريـا وعاطفيا لا يخضع للمفاهيم القومية من وجهة المنظرين المحدثين ، فـان هذا التفكير الفطـرى ظل السمة الغالبة فى قصائد من والاهم مـن الشعراء المتاخرين ، نظـرا لان المغرب العربى جميعـه ـ باستثناء القلة من مثقفيه الذين تأثـروا باتجاهات

(1) (شعراء الجزائر فى العصر الحاضر) ج 1 ص 196 .

سياسية مشرقية معينة ـ بقى حتى الآن ينطلق من منطلقات فطرية فى فهمه ووعيه لمعنى العروبة . ويراها احساسا بديهيا غير قابل للمناقشة أو المساومة ، بل ان نظرة شعراء المغرب العربى والجزائر بصورة خاصة الى العروبة تبدو نظرة رحيبة حميمة متجاوبة مع كل الاقطار والمشاكل والاحداث العربية دونما مغالاة أو تعصب ، وهو تقريبا ما نصادفه حتى لدى معظم الشعراء المتأخرين عن هذا الجيل فى احساسهم العربى الذى يبدو أكثر نصاعة ووضوحا ولكنه فى ذات الوقت يبدو أكثر اشراقا ورحابة نفس واشعاعا على الوطن العربى كله .

يقول (مفدى زكرياء) فى احدى قصائده التى كتبها اثناء الثورة الجزائرية معبرا عن هذه النظرة الفسيحة للعروبة ومفهومها البديهى لدى الشاعر الجزائرى والمغربى عامة :

نسب بدنيا العرب زكى غرسه ... الم فاورق دوحه وتفرعا
سبب باوتار القلوب عروقه ... ان رن هـــذا ، رن ذاك ورجعا
اما تنهد بالجزائر موجع ... آسى الشآم جراحه ، وتوجعا
واهتز فى ارض الكنانة خافق ... واقض فى ارض العراق المضجعا
وارتج فى الخضراء شعب ماجد ... لم تثنه ارزاؤه أن يفزعا
وهوت مراكش حوله وتألمت لبنـ ... ـان واستعدى جديس وتبعا
تلك العروبة ان تثر اعصابها ... اوهى الزمان حيالها وتضعضعا (1)

ولعل الشاعر (صالح خرفى) يجسم هذا المعنى ، لا فى مستوى التضامن الجغرافى والحضارى فحسب ، كما رأينا ذلك فى شعر مفدى زكرياء ولكن فى مستوى الاحساس الدفين العميق بهذه العروبة المتأججة فى الدماء ونبضات القلب الدافقة كالنبع فى الحنايا :

عرب نحن والعروبة غذت ... بهواها عروقنا ودمانا
هى كالنبع دافق فى الحنايا ... ان تكن فى اللسان غاضت بيانا
عرب اليوم بالدماء وإنا ... عرب فى غد دما ولسانا (2)

---

(1) (اللهب المقدس) ص 60 .

(2) (أطلس المعجزات) ص 142 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968

ومثلما لاحظنا فى هذا الشعر أن شعراءه كانوا يعتبرون العروبة هى السمة الاولى من سمات الكيان الجزائرى ، وان استنفار المشاعر والتذكير والتلميح المستمر للعروبة انما هو ضرب من الاحياء الدائب والتفكير المطرد فى مقومات هذا الكيان ، فان هؤلاء الشعراء أيضا كانوا شديدى التركيز على العقيدة الاسلامية باعتبارها المقوم المكين الذى تستند اليه العروبة كلهـا .

حتى أن أكثر الكتاب والشعراء الجزائريين الذين وضعوا أسس التوجهات الثقافية والسياسية فى مطلع هذا القرن ،سواء بما كتبوا فى صحافة تونس ، أو الجزائر ، كانوا لا يفرقون بوضوح بين (العروبة والاسلام ، بل يخلطون بينهما .. بين القومية العربية كحضارة ، وبين الدين كعقيدة روحية) (1) يستوى فى ذلك (عمر بن قدور) و (عمر راسم) وفى مرحلة متأخرة عنهما الشيخ (عبد الحميد بن باديس) الذى كان فكره أكثر وعيا للعروبة والاسلام ، وكانت آراؤه فى هذا الصدد تتميز بالحكمة والجرأة وبعد النظـر .

و (ابن باديس) وان كان أكثر ادراكا للفصل بين مفهومى العروبة والاسلام الا أنه بنزعته التوحيدية والوحدوية معا كان يرى العروبة والاسلام متلازمين معنى وتاريخا ومنطلقا لان : (رسول الانسانية ورجل القومية العربية كون أمة هذا التكوين المحكم العظيم ووجهها لتقوم للاسلام والبشرية بذلك العمل الجليل ، فلم يكونها لتستولى على الامم ولكن لتنقذهم من سلطة المستولين باسم الملك او باسم الدين ولم يكونها لتستخدم الامم فى مصالحها ، ولكن لتنهض من دركات الجهل والذل والفساد الى درجات العز والصلاح والكرامة) (2) .

(يتبع)

د. محمد صالح الجابرى

---

(1) (قضايا عربية) ص 37 .

(2) آراء ابن باديس التى بسطها الدكتور خرفى فى فصل خاص بعنوان (عبد الحميد بن باديس والعروبة) ص 79 من كتاب (صفحات من الجزائر) تعتبر على درجة هامة فى مجال تحديد هذه المفاهيم سياسيا وحضاريا .

من شاعر إلى شاعر

شعر : حسين سفطه

نص القصيد الذى ألقى فى دار الثقافة « ابن خلدون » بتونس يوم 8 ـ 2 ـ 85 بمناسبة تكريم الشاعر الهادى نعمان تحت سامى اشراف الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية بتونس.

قصيدي إلى المُلهم النّاثر هديّةُ شعر إلى شاعر
نوافحُ مسكٍ تَضُوعُ شَذاً زكيًا من الجبَقِ العَاطِرِ
وأعبق نشرٍ على حفلنا شممناه في جمعنا الحاضر
شقائق « نعمان » صِنوٌ له وحاتم في الزمن الغابر
هو «الهادي» (!) في هديه مرتضى هو النور في الحلك الكافرِ
« حساب السنين » (1) له رنّة تروق مع « النّغَمِ » (2) الحائر »
صداه كأنّه أرجوزة وفحواه أُهزوجة الثّائرِ
متى نتغنّى بأبياته ؟ فأين يدُ الطّبع والنّاشرِ ؟

---

(1) « **حساب السنين** » : عنوان ديوان الشاعر المحتفى به المنتظر صدوره عن الشركة التونسية للتوزيع .

(2) « **النغم الحائر** » : عنوان أول ديوان صدر للشاعر الهادى نعمان

لنا أمل في النّهوض به … قريبا . فيا مُتعة النّاظرِ ؟
تُكرّم « تونس » نَجْلاً لها … مفاخره كالسّنى الباهرِ
تُعدّد أمجاده بعدما … تربّعَ في أوجها الفاخرِ
تثنّت أهازيجه رقّةً … فلاحت كأعجوبة السّاحر
أصيل « المنستير » في نخوة … وفي هزّة الفكر والخاطرِ
فبِاسمي وباسم الألى حضروا … أُردّد صوت الثّنا الشّاكرِ
صديقي لقد راقني شعركم … لأنه مى شاعر ماهر
ترشّح من نبع « زيتونة » … وضاء على الأفُق النّائرِ
له في مجال العُلا صولة … له بهجة النّصر والنّاصر
من البحر مستلهم نشْرهُ … عوابق « ساحلنا » النّاضرِ
جرائدكم وهي في دلّها … عموديّة القدّ والظّاهرِ
خليليّة أصلها ثابت … ولمّا تصلها يدُ الغادرِ
سلائل نُبل أُرُومتُها … جذور من المحتد الطّاهرِ
سأخطو خطاكم على دربكم … وأسبحُ في بحرك الوافر
أخي عشتَ للشّعر ريحانةً … تفوحُ مدى الزمن السّائرِ
سعدتَ بما أنتَ أهلٌ له … ودمتَ المغرّدَ كالطّائرِ
أغانيكَ تبقى مُخلّدةً … ترانيم في خلدِ الذّاكرِ

حسين سفطه

الأصالة والمعاصرة في «موسم الهجرة إلى الشمال»

بقلم: البشير المجدوب

– 2 – (*)

على ان الأصالة ، مهما عظم دورها فى حياة الفرد والجماعة ، مقضي عليها بالعجز والعقم ما لم تتطور ولم تتجدد ، فلا بد من التنازل عن بعض ذاتها تمحيصا لها وابقاء على جوهرها وصيانة لها من الشوائب والآفات ؛ بل عليها أن تقدم على هذه العملية القاسية تجربها على نفسها ، دون خور ولا تردد ، تقتطع بها مواطن السقم والفساد ، لقاء عافية الجسد أجمع .

ولن يتسنى للأصالة أن تقوم بهذا الدور الثوري الذي من شأنه أن يحدث انقلابا فى كيانها إلا بأن تطعم وتزدوج بضدها ، أي الانفتاح الواسع الحر على حياة العصر فى محيطه الأرحب ، والاستجابة الناقدة المستبصرة لأهم متطلباته وأوكدها ، تلك التي يتمثل فيها روح الابداع والتجديد .

وينبغي الاشارة الى أن المعاصرة التي نعنيها ليست شيئا قائما بنفسه ، محدودا بذاته ، منفصلا منقطعا عن غيره ، بل هي نزعة متصلة اتصالا وثيقا مطردا بالأصالة اذ هي تنبني عليها ، وتنطلق منها ، ولا تنفك ، وإن تجاوزتها، تنظر اليها وتقيم لها وزنا باعتبارها مقياسا – أحد المقياسين (أو القطبين) فى الحقيقة – لكل ما يعرض لها من آراء ومواقف وتصرفات .

فالمعاصرة الحق معايشة حميمة للعصر وتلبية لمقتضياته ، ولكنها ليست ذوبانا فيه ؛ ذلك لأنها نزعة انتقائية ، حركة تشرف على العصر شمولا

(*) كنت نشرت القسم الاول من هذا البحث فى مجلة « الفكر » (عدد أفريل 1983) وهذا القسم متعلق بالمعاصرة .

وتتخطاه مستشرفة غيره ، ولأنها بوسعها أن تهضمه هضما وتتمثل أحسن ما فيه .

لقد سبق أن قلنا إن بين المعاصرة بهذا المفهوم وبين الأصالة علاقة جدليّة ، ويتجلى هذا الصراع الجدلي كأبرز وأقوى ما يكون فيما امتازت به المعاصرة من خواص ومقومات :

1) الرغبة الشديدة العارمة فى التغيير والاصلاح :

مع الايمان الجازم بضرورة التغيير وإمكانه وعظم جدواه ، لا حبا للتغيير فى ذاته وولعا بالهدم اعتباطا .. تصرفا مجانا نزقا طفوليا ، بل لان التغيير والاصلاح يكسبان الحياة معنى وقيمة ، ويضفيان عليها رونقا وبهاء ، بحيث لا طعم ولا مبرر لها دونهما .

يقول الراوي : « كنت أفكر ، وأنا أرى الشاطىء يضيق فى مكان ، ويتسع فى مكان ، أن ذلك شأن الحياة ، تعطي بيد وتأخذ باليد الاخرى . لكن لعلنى أدركت ذلك فيما بعد . **أنا الآن ، على أية حال ، أدرك هذه الحكمة ، ولكن بذهنى فقط ، إذ أن عضلاتي تحت جلدي مرنة مطواعة وقلبى متفائل . إننى اريد أن آخذ حقي من الحياة عنوة ... ثمة آفاق كبيرة لا بد أن تزار ، وثمة ثمار يجب ان تقطف ... وصفحات بيضاء فى سجل العمر ساكتب فيها جملا واضحة بخط جرىء** » (1) .

وقد يحتد ويتعاظم هذا الحماس الجامح والتحفز الجياش للفعل والعطاء ، فاذا هما يتخذان شكل التحدى للكون أجمع ... إرادة السيطرة عليه وإخضاعه لمشيئة الانسان .. إثباتا للذات وإرغاما للمستحيل على الامكان .

« فى ليلة مثل هذه تحس أنك تستطيع أن ترقى الى السماء على سلم من الجبال . هذه أرض الشعر والممكن . سنهدم وسنبنى وسنخضع الشمس ذاتها لارادتنا ونهزم الفقر بأى وسيلة ... » (2) .

(1) ص : 8 ــ 9 .

(2) ص : 115 .

2) الــوعــي :

وهناك خاصية ثانية مرتبطة بالاولى لا تكاد تفارقها وهي **الـوعي** ، فلا رغبة في الاصلاح ما لم يكن هناك وعي بوجوبه ، ولا معنى للوعي ولا جدوى منه ما لم يكن مقترنا بالرغبة الصادقة الصميمة في التجديد .

وبديهي أن الوعي ليس صفة مخصــوصة بالمعــاصرة وحدها ، ولا وقفــا عليها ، ولكن الوعي على مستوى المعاصرة الحق يمتاز بخصلــة لا تتوفــر في الأصالة الصرف (جد الراوي) ولا في المعاصرة للزائفة البتــراء (مصطفى سعيد) ، وهي ميزة :

أ) النقــد الــذاتي :

وما يقترن به من صفاء الذهن ، وقوة الاستبصار ، وسعة أفــق الفكــر ، ودقة الملاحظة ، وعمق التحليل واستقصائه ، وصرامة المحــاسبة والتقييم ، واعتماد الشك والتساؤل والبحث والتحري طريقا في مجال بلــورة الــذات وتحقيقها ، وفي مجال الاصلاح السياسي والاجتماعي معا .

قال الراوي : « وآثرت أن لا أقول بقية ما خطــر على بــالي : مثلنــا (أي الأوربيون) تماما . يولدون ، ويموتون وفي الرحلة من المهد الى اللحد يحلمون أحلاما بعضها يصدق وبعضها يخيب ...، لم أقل لمحجوب هذا ، وليتني قلت ، فقد كان ذكيا . **خفت ، من غروري ، الا يفهم (3)** » (3) .

« فقال (مصطفى سعيد مخاطبا الراوي) : « سمعت كثيرا عنك من اهلك وأصدقائك » ـ لا غرو ، فقد كنت أعد نفسي زينة الشبان في البلد » (4) .

« العفو » ـ هكذا قلت ، ولكنني ، والحق يقال ، كنت تلك الايام مزهــوا بنفسي ، حسن الظن بها » (5) .

---

(3) ص : 7 .
(4) ص : 12 .
(5) نفس الصفحة .

« وقال محجوب : « لماذا صمت كأنك أبكم ؟ لماذا لا تقول شيئا ؟ » . قلت له : « الموظفون امثالي لا يستطيعون ان يغيروا شيئا اذا قال سادتنا : افعلوا كذا ، فعلنا . انت رئيس الحزب الوطني الاشتراكي الديمقراطي هنا. إنه الحزب الحاكم . لماذا لا تصب غضبك عليهم (أي الوزراء) ؟ » (6) .

« كنا احيانا نتذاكر أيام طفولتنا في القرية فيقول لي : « لكن انظر أين أنت الآن وأين أنا ، أنت صرت موظفا كبيرا في الحكومة وأنا مزارع في هذه البلدة المقطوعة » ، وأقول له باعجاب حقيقي : « أنت الذي نجحت لا أنا ، لأنك تؤثر على الحياة الحقيقية في القطر . أما نحن فموظفون لا نقدم ولا نؤخر ... » (7) .

وقد يشتد هذا الوعي بالذات ـ سعيا الى استكشاف الهوية الحق ـ فيصبح إعادة نظر جذرية لجميع ما يصدر عن المرء من ردود فعل ومواقف وآراء ، لا يني يضع ذاته على محك النقد ، حتى كأنها أبدا في موضع اتهام ، وحتى يبلغ هذا الوعي مبلغ الوسواس حدة وتسلطا واستمرارا .

يقول الراوي واصفا حيرته وقلقه الشديد من أثر الصدمة العنيفة التي احدثتها في نفسه قصة مصطفى سعيد : « ... هل كان من المحتمل أن يحدث لي ما حدث لمصطفى سعيد ؟ قال : إنه أكذوبة ؟ فهل أنا أيضا أكذوبة ؟ إنني من هنا أليست هذه حقيقة كافية ؟.. » (8) .

ولكنه لا يلبث أن يتمالك نفسه ، ويستعيد زمامها ، ويقنعها بما لا سبيل البتة الى إنكاره : تجذره في أرضه ، وارتباطه المكين بأصالته ، وقدرته ، بفضل ذلك على مواجهة الهواجس والشكوك التي تدفع الى اليأس والكفر بذاتيته ، وعلى الوقوف موقف الند إزاء تحديات الحضارة الغربية .

وقد يتجلى هذا الوعي المركز المعمق خاصة في موقف الراوي ـ خلال الرواية كلها أو معظمها ـ من شخصية مصطفى سعيد (وهو ، كما قلنا ، صورة رمز ، وإن محرفة مشوهة للحضارة الغربية) لا يفتأ يتحسسها ، ويتطلع الى معرفة

---

(6) ص : 123 .
(7) ص : 101 ـ 102 .
(8) ص : 52 .

حقيقتها ، ولا يزال يضعها على ميزان النقد والتجريح ، ويقيس نفسه اليها ، منجذبا اليها كالمسحور تارة ، مقاوما إياها نافرا منها تارة أخرى ، فى حركة مد وجزر وفى صراع معها لا ينتهى ، وحتى يصبح طيف مصطفى سعيد شغله الشاغل وكالهوس المستحوذ على فكره وضميره ،شبحا مخيفا يلاحقه مضايقة وإزعاجا لأنه رمز الفشل والاخفاق .. فشل المثقف وإخفاقه فى الاضطلاع بالمهمة الحضارية المنوطة بعهدته .

« مات مصطفى سعيد منذ عامين ولكننى ما أفتأ أقابله من حين لآخر . لقد عشت خمسة وعشرين عاما ، وأنا لم أسمع به ولم أره . ثم ، هكذا فجأة أجده فى مكان لا يوجد فيه أمثاله . وإذا بمصطفى سعيد ، رغم إرادتى ، جزء من عالمى ، فكرة فى ذهنى ، طيف لا يريد أن يمضى فى حال سبيله . وإذا احساس بعيد بالخوف بأنه من الجائز ألا تكون البساطة هى كل شىء » (9) .

« ... وفى الخرطوم ايضا ، عرض لى طيف مصطفى سعيد ، بعد محادثتى مع المأمور المتقاعد بأقل من شهر ، كأنه جن أطلق من سجنه ، سيظل بعد ذلك يوسوس فى آذان البشر ، ليقول ماذا ؟ لا أدرى » (10) .

« ... الفكرة تبدو شاذة فعلا ، كما أن حياة مصطفى سعيد وموته فى مكان مثل هذا يبدو شيئا صعبا تصديقه ، مصطفى سعيد كان يحضر الصلوات فى المسجد بانتظام ، لماذا كان يبالغ فى تمثيل ذلك الدور المضحك ؟ هل جاء الى هذه القرية النائية يطلب راحة البال ؟ لعل الاجابة فى تلك الغرفة المستطيلة ذات النوافذ الخضراء » (11) .

وهذا النفور والضيق والانزعاج هو فى الحقيقة تعبير عن احتياط الراوي وخوفه على ذاتيته من عدوى الحضارة الغربية .. الخوف (ولكنه ليس خوف الجبان المستخذى ولا القاعد الخامل) من أن يكون قد أصابه (أو أن يصيبه) شىء من سحر تلك الحضارة .. ذلك السحر القاهر ، جرثومة تسمم الكيان كالداء المزمن ، الذى أفشل تجربة مصطفى سعيد فى القرية الصغيرة بالريف السودان ، بعد أن كان كل شىء ينبىء بنجاح هذه التجربة ، وقد تبدل

---

(9) ص : 53 — 54 .

(10) ص : 58 .

(11) ص : 68 — 69 .

مصطفى سعيد شخصا غير الذى كان ، واستطاع أخيرا أن يستأنف حياة جديدة ويصوغ ، بعد التشرد والافلاس والضياع مصيرا ثانيا ، وبدا كأنه تجذر فى تربة بلده ، وانسجم خير انسجام مع بيئته الريفية . لقد كون أسرة ، وانجب أولادا ، وأصبح له ، عن جدارة ، سمعة طيبة ومكانة عالية فى البلد بفضل ذكائه وجده ونشاطه ونزاهته ومهاراته فى تدبير الشؤون الاقتصادية فى القرية ، ومع ذلك فهو لم يستطع أن يصم اذنيه عن النداء الحافز للرحيل ، ولم يتمالك عن الاستجابة قسرا اليه ، فانسحب من ساحة الواجب والشرف والمروءة ، وقد اخفقت جهوده فى التخلص من براثن الشعور بالاغتراب والانبتات ، وفى مقاومة جاذبية الغرب وإغرائه .

« ... لا جدوى من خداع النفس ، ذلك النداء البعيد لا يزال يتردد فى أذنى ، وقد ظننت أن حياتى وزواجى هنا سيسكتانه .. لكن أشياء مبهمة فى روحى وفى دمى تدفعنى الى مناطق بعيدة تتراءى لى ولا يمكن تجاهلها... » (12).

ويعلق الراوي فى سخرية لا تخلو من لذع ، على قرار الرحيل الذى ختم به مصطفى سعيد وصيته : « اذا كان مصطفى سعيد قد اختار هذه النهاية ، فانه يكون قد قام بأعظم عمل ميلودرامى فى رواية حياته ... » (13) .

وما مصطفى سعيد فى الحقيقة (وهنا عبقرية الطيب صالح الروائية للتمثلة فى تجسيده للافكار والرموز شخصيات حية من لحم ودم أو بالاحرى ، فى تحميله شخصياته النابضة بالحياة ابعادا ودلالات رمزية) إلا الوجه الآخر لشخصية الراوي ـ أحد وجوهه الثلاثة على الأصح ـ كالوحش القابع فى أعماقه ، المترصد المتحفز للبطش والفتك ، أعني العنصر الاجنبى الدخيل الذى بدأ يفرض نفسه ، ويلح فى إثبات وجوده ، وإملاء مطامحه وميوله ، ويشرع فى «الشغب» بعد الفترة التى قضاها الراوي فى صفاء وانسجام ومسالمة ووئام مع البيئة الأم ، يقابله العنصر الاصيل وهو شخصية الجد ، يتردد الراوي موزعا مقسما بينهما ، رافضا إياهما رفض الحياة والفكر النير البصير لكل تطرف وتعصب ، جاهدا فى تأليف ما لا يكاد يتفق ، لا يقر له قرار حتى يصب ويصهر الثلاثة فى واحد ، حتى يبتلع الثالوث ويتقمصه فى شخصه الواحد .

ويبلغ هذا الوعي المرهف عند الراوي من القسوة إزاء الذات حد السخط والنقمة والتجنى والتحامل عليها .

---

(12) ص : 70 ـ 71 .

(13) ص : 71 .

« ... وتركته وذهبت ، وإن كنت قد أيقنت من حقيقة ستأخذ كثيرا من راحة بالي فيما بعد . إنني بشكل أو بآخر ، أحب حسنة بنت محمود ، أرملة مصطفى سعيد . أنا مثله ، ومثل ود الريس وملايين آخرين ، لست معصوما من جرثومة العدوى التي يتنزى بها الكون » (I4) .

وطبيعي أن يؤول مثل هذا الوعي الحاد الصارم الى الرفض ثم التحدي والتمرد والقطيعة ، وذلك يتجلى في موقفه (أي الراوي) من ألواقع السياسي، وبخاصة ، من الوضع الاجتماعي في بلاده .

ب) **النقد السياسي (الوعي الرفض) :**

لقد اختصت رواية « موسم الهجرة الى الشمال » دون سواها من الروايات والقصص السابقة لها المشتركة في نفس الموضوع (I5) (أعني قضية الاصالة والمعاصرة) بميزة هامة جدا هي سر أو بعض من سر تفوقها عليها جميعا . وتتمثل هذه الميزة التي عمقت صلتها بالواقع وأثرتها إثراء ، شكلا ومضمونا ، وأكسبتها بعدا انسانيا رائعا فريدا ، تتمثل في تجاوزها نطاق الفرد والمستوى النفساني (والأخلاقي) الصرف الى دنيا المجتمع الزاخر بالمطامع والاهواء ، وألوان الصدام والصراع التي تشمل الناس جميعا ولا يكاد يمتنع منها أحد ، متصدية لأخطر مشكلاته، مشهرة بأفدح عيوبه ، ومعرضة ، في الآن نفسه ، عن التحليق في أجواء التفكير المجرد والتأمل الفلسفي المطلق في الانسان والحضارة .

ذلك ان المعاصرة ، في جوهرها وحقيقتها ، تفتح وإشعاع ، وهي لذلك لا تتحقق ولا تكتمل الا بأن ترتبط ارتباطا وثيقا بالجماعة وتتفاعل معها ، تؤثر فيها وتتأثر بها .

لقد وفق الراوي الى تصوير بل تمثيل الحالة السياسية في بلاده في صفحات معدودة ، قوية الايحاء ، مشحونة بالدلالات والاشارات ، تصويرا غاية في التركيز والايجاز ، وهو لذلك مثال موفق لازدواج النقد ــ اجتماعيا كان أو سياسيا ــ بالنسق القصصي دون اخلال بالطابع الدرامي للرواية ، ففضح فساد سياسة الحكام ، آخذا عليهم التقصير والترف والدجل ، فالسلطة

(I4) ص : I07 .

(I5) نذكر منها على سبيل المثال : « عصفور من الشرق » لتوفيق الحكيم ، « أديب » لطه حسين و « قنديل أم هاشم » ليحيى حقي .

بدلا من أن تكون أداة لتحقيق حياة أفضل لمواطنيهم .. السلطة عندهم غاية في ذاتها ، أو هي وسيلة للاثراء والمتعة بفضل استغلال بني قـومهم استغـلالا فاحشا ، ولا سيما أهل الريف .. ذلك الريف المهمل المنسى الملغى من حساب الساسة ، لا يكاد يذكر أو يحفل به الا فى الحملات الانتخابية ، فيتملق وتبتز بالدجل والمكر أصوات أهله بعد أن يخدروا بالوعود الجوفاء ؛ يضحك عليهم ، وبفضلهم يترقى الى السلطة وتقوم الحكومات (16) ، ويبقى الريف على حاله أو شبه حاله ، وقد حشرت الطاقات فى العاصمة ، وغيرها من المدن ، كما لو كان أهل الريف مواطنين من درجة ثانية .

قال محجوب منددا بسياسة التبذير الخرقاء التى دعت الحكومة الى إقامـة مؤتمر لتدارس توحيد أساليب التعليم فى القارة الافريقية كلها ، وقد كلفتها قاعة المؤتمر مليون جنيه ، ومنددا ، فى آن ، بتخليهم عن القيام بالمهام الحيوية العاجلة ، والمصالح الضرورية الاكيدة . لقد عكسوا نسق الاولويات وانشغلوا بالبهرج والفضول عن جوهرى الامور .

« فليبنوا المدارس أولا ثم يناقشوا توحيد التعليم . كيـف يفكـر هـؤلاء الناس ؟ يضيعون الوقت فى المؤتمرات والكـلام الفـارغ ونحـن هنـا أولانا يسافرون كذا ميلا للمدرسة . ألسنا بشرا ؟ ألسنا ندفـع الضرائب ؟ أليس لنا حق فى هذا البلد ؟ كل شيء فى الخرطوم ، ميزانية الدولة كلهـا تصرف فى الخرطوم . مستشفى واحد فى مروى تسافر له ثلاثة أيام ، والنساء يمتن أثناء الوضع . لا توجد داية (17) واحدة متعلمة فى هذا البلـد . وأنت مـاذا تصنع فى الخرطوم ؟ ما الفائدة أن يكون لنـا ابـن فى الحكـومة ولا يفعـل شيئـا » (18) .

---

(16) جاء فى ص 68 : « ... لكن هذا لا يثنى عمي عبد المنان ، فيقول : « كل الذى يفلحون فيه يجيئون الينا مرة كل عامين أو ثـلاثة بجمـاهيرهم ولواريهم ولافتاتهم .. يعيش فلان ويسقط علان . كنا مرتاحين أيـام الانكليز من هذه الدوشة » . وبالفعل يمر بنا جمع من الناس فى لوري قديم وهم يهتفون : « عاش الحزب الوطنى الديمقراطى الاشتراكى » . **هل هؤلاء الناس الذين يطلق عليهم « الفلاحون » فى الكتب ؟ لـو قلت لجدي : إن الثورات تصنع باسمه ، والحكومات تقوم وتقعـد من أجلـه لضحك » .**

(17) أى قابلة .

(18) ص : 119 ـ 120 .

ويتمثل دجل هؤلاء الساسة ، وما يمارسونه من غش وخداع في كـونهم يقولون ما لا يفعلون ، تبلغ وقاحة الضمير عندهم الى حد إيهام الشعب بعكس حقيقتهم ، وخلاف واقع سياستهم وسيرتهم يحثون مواطنيهم على الاقتصاد والتقشف ، تحذيرا من انبعاث طبقة برجوازية تحل محل الاستعمار وتكون أشد خطرا منه ، في حين ان هذه الطبقة البرجوازيه موجـودة بالفعـل قد تكونت بعد ، هم وأمثالهم ونظراؤهم من الوزراء وكبار المسؤولين والموظفين كل هؤلاء دعائم هذه الطبقة التى يتظاهرون بالاشفاق من خطرها ـ مشهرين بها في حماس بالغ ـ كما لو أنها لم توجد بعد . يدعون ـ كذبا ورياء ـ الى ملاءمة واقع البلد واعتبار ظروفه وامكاناته .. يدعون الى الاصالة وهم أبعـد الناس عنها وأشدهم استخفافا وكفرا بها .

« ... كيف أقول لمحجوب (الراوي يتحدث) : إن الوزير الذى قال في خطابه الضافي الذى قوبل بعاصفة من التصفيق : « يجب ألا يحدث تناقض بين ما يتعلمه التلميذ في المدرسة وبين واقع الشعب . كل من يتعلم اليوم يريد أن يجلس على مكتب وثير تحت مروحة ، ويسكن في بيـت محـاط بحـديقة ، مكيف بالهواء ، يروح ويجيء في سيارة أمريكية بعرض الشارع . إننا اذا لم نجتث هذا الداء من جذوره تكونت عندنا طبقة برجـوازية لا تمت الى واقـع حياتنا بصلة ، وهى أشد خطرا على مستقبل افريقيا من الاستعمار نفسه » . كيف أقول لمحجوب : إن هذا الرجل بعينه يهرب أشهر الصيف من افريقيا الى فيلتة على بحيرة لوكارنو ، وان زوجته تشتري حاجياتها من هرودز في لندن تجيئها في طائرة خاصة ، وأن أعضاء وفده أنفسهم يجاهرون بأنـه فاسـد مرتش ، ضيع الضياع واقام تجارة وعمارة ، وكون ثروة فادحة من قطرات العرق التى تنضح على جباه المستضعفين أنصاف العراة في الغابات ؟ هـؤلاء قـوم لا هـم لهـم إلا بطـونهم وفـروجهم . لا يوجـد عـدل في الدنيـا ولا اعتـدال ... » (19) .

ومن أخطر وأسمج ما يؤخذ عليهم من عيوب تقليدهم الغرب لا فيما تقوم عليه قوة الغرب ، وتقدم حضارته المطرد ، وحدة نشاطه الابداعي ، بـل في نواحي الترف والبذخ من لباس وأزياء وزينة وبهرج وتبذير ، وهى مظـاهر طبيعية ، تكاد أن تكون حتمية في البلاد الاوربية ، اقتضاها الرقي الحضاري ونوعية الاقتصاد وازدهاره ، ولكنها في البلاد المتخلفة إثم وجريمة ، وهى من

(19) ص : 121 ـ 122 .

أبشع صور النشاز ، فيها تحـد صـارخ لمشـاعر الشعـب ، واستخفـاف بخصاصته وحرمانه ، واستهانة بحاجاته ومطامحه الاكيدة .

لم يأخذوا من الغرب الا المظاهر ، القشور دون اللباب ، أخذوا ذلك مجانا ، دون أن يدفعوا الثمن وهو جانب الجد والكد والجلد والمثابرة والاخـلاص فى خدمة المجتمع والقدرة على الانتاج والابداع ، وحسن التـدبير والتنظيـم فى إطار اجتماعى متوازن ووضع اقتصادى قوي مزدهر . ثم ان أكثر هذه المظاهر يتنافى وشخصية الشعب وعاداته وتقاليده ، ولا ينسجم مع أذواقه وميوله ، ولا يلائم مذهبه فى العيش وأسلوب معماره،ويسيء الى أصالته وعبقرية تراثه.

« او كان الزمان أحسن مما هو عليه الآن ، لأضحكته وأغضبتـه بقصص ذلك بالمؤتمر . لن يصدق أن سادة افريقيا الجدد ملس الوجوه، أفواههم كأفواه الذئاب ، تلمع فى أيديهم ختم من الحجارة الثمينة ، وتفوح نواصيهم بـرائحة العطر ، فى أزياء بيضاء وزرقاء وسوداء وخضراء من الموهير الفاخر والحرير الغالى تنزلق على أكتافهم كجلود القطط السيامية ، والاحذية تعكس أضـواء الشمعدنات تصر صريرا على الرخام ، لن يصدق محجوب أنهم تدارسوا تسعة أيام فى مصير التعليم فى افريقيا فى « قاعة الاستقلال » والتى بنيت لهذا الغرض ، وكلفت أكثر من مليون جنيه ، صرح من الحجر والاسمنت والرخام والزجاج ، مستديرة كاملة الاستدارة ، وقع تصميمهـا فى لنـدن ، ردهاتها من رخام أبيض جلب من ايطاليا ، وزجاج النوافذ ملون ... المنصـة حيث، تعاقب وزراء التعليم .. من رخام أحمر كالـذى فى قبـر نابلـيون فى الانفاليد ، وسطحها أملس لماع من خشب الابنوس . . » (20) .

– يتبـع –

البشيـر المجـذوب

---

(20) ص : 120 – 121 .

مرثية إلى الفقيد زكي مبارك

شعر: علي هاشم رشيد

عش خالداً في ضمير الحق والعرب ... فقد حفظت لكل اوثق النسب
وقلب كل محب قد قضى دنفا ... وكم ضهيد له في العشق من سبب
كنت الإباء على ساقين منطلقاً ... فحاربوك بجيش زائف لجب
لم يبلغوا شأوك السامي وقد شرفت ... بالإنتماء إليكم أشرف الرتب
بجهدك الفذ حزت العلم فزت به ... وحزت من دره ما حزت من نشب
وقد خلدت بما نضدت من درر ... شعراً ونثراً يهز القلب للطرب
في العاشقين أميراً بت مذ عرفوا ... منك الوداد إذ الأرواح في القرب
في معبد الحب قد صليت لست ترى ... في ذاك شركا فقالوا ضل: لم يصب
وللجمال ضروب أنت تعرفها ... ليس الحديد لدى التمييز كالذهب
حملت قلباً رقيقاً في تطلعه ... إلى الجمال قوياً دونما ريب
أعليت للضاد شأنا إذ عشقت بها ... در البيان بما سطرت من كتب
وذدت عنها وعن تاريخنا فنضا ... خصومها الغدر واغتالوك بالحرب
كانت محيطا فما جاؤوا للجته ... وآثروا الشط خوف الجهد والعطب
والدر يبقى عزيزا لا يفوز به ... غير الذي يطلب الآمال بالنصب
ليس الذي يرتقي للرأس يطلبه ... مثل الذي يرتضي في الوهن بالذنب
كشفت من جهلوا للنثر قيمته ... عند الأعاريب مما مر في الأدب
وأكبروا غير أم الضاد في ضعة ... وحاربوك فلاقوا شر منقلب

صمدت دون الذي ناديت في ثقة … بمفْوَك صارم في حقه ذرب
فحاربوك بأدنى ما رأوا سببا … لقطع عيشك إذ خابوا وكم تخب
لم يقرعوا الرأي حرا في تفاهتهم … بالرأي هل قارعوا بالزيف والكذب
وما دروا أن للتاريخ جولته … وأنت والحق فيه الشمس لم تغب
إن يظلموك فللأجيال نظرتها … لا تجزعن بزيف القول والشغب
قد طبت نفسا بصدق الرأي مجترئا … وإن يكن عيشك المبذول لم يطب
في لقمة العيش قد حوربت إذ هزموا … فاستنكر الأكرمون الجرم بالعجب
تفنى المراكز والتاريخ يطمسها … وعبره يسعد الأحرار بالغلب
بززتهم بكنوز الفكر تكشفها … بجهدك الفذ في جد بلا لعب
وقصروا أن ينالوا من دكاترة .. … في واحد جوهر بالزيف لم يشب
فسددوا السهم للقلب المحب فقد … ظنوه في حربهم من أسهل السلب
كأنما الحب جرم في عقيدتهم … فاضرموا حوله النيران باللهب
والكون من ثمرات الحب لو علموا … فهو الرحى ومعاني الحب كالقطب
مثل النعامة دست من جهالتها … في الرمل رأسا وقد أعيت من الهرب
فكان فيما رأت جهلا منيتها … كمن يلوذ بحصن واهن خرب
يا عاشقا صان للعشاق مدمعهم … يا طهر دمع من العشاق منسكب
رتلت للحب ألحانا نسر بها … فأنكروها وماتوا من لظى الغضب
والخير لما يزل بالشر شانئه … يلقاه لا يرتضي بالصوم في رجب
أنت الزكي طهورا رغم ما زعموا … مبارك العمر صنو البدر لم تغب
يا خالد الذكر جازاك الاله بما … لقيت في «لغة القرآن» من كرب
قد ذدت عنها وغالوها بما عبدوا … من الغريب لسانا دونما حسب
فإن قضيت شهيدا دون قلعتها … ولم تر الظل في عيش ند رطب
فإنك الحب قد ضمته أضلعنا … وقد خلدت بقلب الحق والعرب

علي هاشم رشيد

دور الأدب العربي في مواجهة التحديات

بقلم : د . نور الدين بلقاسم

– 2 – (*)

وقد وقف الشعراء أنفسهم – الى جانب المصلحين – يستحثون الهمم ، ويدعون الى التحرر من قيود الماضي ، ويحرضون الناس على الثورة ضد الاستعمار والاوضاع الفاسدة .

نذكر من هؤلاء : أحمد شوقي (1285 – 1351 هـ/1868 – 1932 م) (35) واحمد الشارف (1282 – 1377هـ/1864 – 1959 م) (36) وحافظ ابراهيم (1287 – 1351 هـ / 1871 – 1932 م) (37) ومعروف الرصافي (1294 –

(*) انظر « الفكر » : عدد : 6 – س : 30 – مارس 1985 .

(35) أحمد شوقي : أشهر شعراء العصر الاخير . يلقب بأمير الشعراء مولده ووفاته بالقاهرة . من كتبه (الشوقيات ط) و (دول العرب – ط) . أنظر الزركلي 1 : 134 – ط 3 ، ومجلة المجمع العلمي 13 : 69 – 113 ، ومناهل الادب : 37 : 6 .

(36) أحمد الشارف : ولد في بلدة (زليطن) بليبيا ، ودرس على أساتذة وشيوخ المعهد الاسمري ، درس التشريع ومذاهبه واشتغل بالقضاء الشرعي ، أنتج انتاجا شعريا غزيرا بداية من سنة 1908 م ، وكان على اتصال مع شعراء وادباء من تونس ومصر والشام والعراق . له (ديوان شعر – ط) .

(37) حافظ ابراهيم (محمد حافظ) : شاعر مصر القومي ومدون أحداثها . لقب بشاعر النيل لما اشتهر بشعر الوطنية والاجتماع والاحداث الخطيرة . توفي بالقاهرة . له (ديوان حافظ – ط) و (ليالي سطيح – ط) أنظر الزركلي 6 : 304 – 305 – ط 3 .

1364هـ/1877 – 1945م) (38) وأبو القاسم الشابى (1327 – 1353هـ/1909 – 1934م (39) وبدر شاكر السياب (40) ومحمد مهدى الجواهرى (و 1900 ؟ أو 1903 / 1318 هـ) (41) وغيرهم .

ناضل هؤلاء بالقلم كما ناضل الاحرار البندقية ، وسجن بعضهم وعذب لاجل مواقفه الصلبة .

فاذا كان هذا دور الادب والفكر – قبل هذه المرحلة – فى مواجهة التحديات ، فما هو دور الادب العربى فى الثمانينات وما بعدها فى مواجهة تحديات من نوع جديد تكثفت وازدادت شراسة ، وتكدست على العرب بصورة لم يعهدها العرب من قبل ؟ ثم ما الادب الواجب الوجود فى المرحلة المقبلة ؟ وكيف نجعل الادب – شعرا ونثرا – مؤثرا فى الواقع ومحركا له ، ومعبرا عن تطلعاتـــه ؟.

---

(38) معروف الرصافى : شاعر العراق فى عصره . ولد ببغداد ونشأ بها فى الرصافة . عضو من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، نظم أروع قصائده فى الاجتماع والثورة على الظلم قبل الدستور العثمانى . ولما قامت ثورة رشيد غالى الكيلانى ببغداد فى أوائل الحرب العالمية الثانية نظم أناشيدها وكان من خطبائها . توفى ببيته فى الاعظمية ببغداد . من كتبه : (ديوان الرصافى – ط) و (محاضرات الادب العربى – ط) و (الآلة والاداة – ط) . أنظر الاعلام للزركلى 8 : 184 – 185 – ط 3 .

(39) أبو القاسم الشابى : شاعر تونسى . ولد فى قرية « الشابية » من ضواحى توزر (عاصمة الواحات التونسية فى الجنوب ، له ديوان (أغانى الحياة – ط) . أنظر الاعلام للزركلى 6 : 20 – ط 3 ، ونلاحظ وجود خطا فى تاريخ ولادة الشابى اصلحناه أعلاه اذ يجعل الزركلى تاريخ ولادته سنة 1906 م بينما هو 1909 م .

(40) بدر شاكر السياب : شاعر عراقى مجدد . من دواوينه : « أنشودة المطر » ط . دار العودة بيروت 1971 م م

(41) محمد مهدى الجواهرى : ولد الجواهرى فى سنة 1900 ؟ أو فى سنة 1903 م ، الموافق 18 ربيع الثانى 1318 هـ وهو يعتبر من أقدر الشعراء الكلاسيكيين فى العصر الحديث . له (ديوان محمد مهدى الجواهرى – ط) 3 اجـــزاء .

انواع التحديات الراهنـــة :

قبل الاجابة على الاسئلة السابقة من الافضل ـ حتى لا نحرث فى البحر ـ ان نحدد جملة من التحديات القائمة ولو على سبيل المثال لا الحصر ـ ثم نحللها لنكتشف طبيعتها ثم نرى عما اذا كان أدبنا المعاصر قد استطاع أن يلعب دوره فى مواجهة هذه التحديات ، ثم نخلص بعد هذا كله الى الحديث عن نوع الادب الواجب ، وكيف يمكن للادب ان يتطور باتجاه الجماهير ، وذلك بمقاومة ما يعترض الادب نفسه من تحديات . نقول تحدى فلان فلانا أى باراه وغالبه ، وتحدى الشيء : حداه والحديا : المنازعة والمباراة . يقول « هو حديا الناس » اى يتحداهم ويتعمدهم . و « أنا حدياك فى هذا الامر » أى معارضك فابـرز لى فيه وجارنى . (42) .

فلفظ التحدى كما يتضح من معناه المعجمى فيه معنى المقاومة والمعارضـة والتجاوز وذلك لافشال الحصم وايقافه عن الهدف المنشود .

والتحديات التـى نعنيها فى هذا البحث ، هـى العراقيل التى تقف أمام التطور العربى المادىوالفكرى فى آن واحد ، بحيث تحول ـ هذه التحديات ـ بيننا وبين التقدم ، أو تقلل ـ على الاقل ـ من سرعة اندفاعنا نحو التطور . هذه التحديات ـ على اختلافها ـ يمكن أن نرتبها كما يلى :

1 ـ التحـدى السياســى
2 ـ التحـدى الاقتصـادى
3 ـ التحدى الاجتماعـى
4 ـ التحدى الثقافـــى .

والعنصر الاخير يشتمل على اتجاهين اثنين :

أ ـ التشكيك فى قيمة التراث وجدواه ،
ب ـ محاولة ضرب اللغة العربية بالدعوة الى اللهجات .

1 ـ التحدى السياســى :

وهو على فرعيـن : التحدى الداخلى ، والتحـدى الخارجـى . ذلـك أن الاوضاع العربية قد آلت فى المراحل الاخيرة ـ بعد هزيمـة جـوان 1967 ،

---

(42) لويس معلوف ـ المنجد فى اللغة والادب : 123 ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت 1960 م .

و « كامب دافيد » وغزو بيروت ـ وتمييع القضيـة الفلسطينية ـ الـى وضع مفجع ، أوجد كابوسا دائم الوجود فـى الحياة العربية . وقد ادى الـى هذه الحالة جملة من الاسباب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أ ـ الارتباط العضوى بين مصالح المحافظين العرب ، ومصالح المعادين لامتنا وعلى رأسهم القوتين العظيمين .

ب ـ حالة التسيب التى يعيشها العرب نتيجة عدم جدية اصحاب القرار من الحكام وأحلافهم من الرأسماليين فى مواجهة العدو الصهيونى ، واكتفاؤهم ـ للمشاركة فى معركة المصير ـ بالتأييد والنوايا الحسنة والمؤتمرات التى تختم فى النهاية بقرارات ذات صيغ لاهبة .

ج ـ ابعاد الجماهير بكل جهد عن الواقع السياسى حتى لا تعرف ما فيه من ممارسات خاطئة ، وذلـك بتعتيم الرؤيـة ، وتشويش صفـاء الذهـن ، وبالهجوم تارة على الواعين من المواطنيـن ، وبتخويفهم أو تقليم أظافـرهم وبرد أنيابهم تارة أخـرى ، وذلـك حتى لا يجرأوا على ممـارسة السيـاسة ـ برغم أن السياسة منحى من مناحـى الفكر ، والفكر ليس حكرا على فئـة من الناس دون أخرى .

وقد أدى انكماش الامة وانطواؤهـا علـى نفسها الـى التحدى الخارجـى المتمثل فى محاولة القـوى الكبـرى الاستعمـارية المهيمنـة على مقدرتنـا ، وفرقعتنا ـ بدسائسها ـ من الداخل ، وذلك بخلق خلافات بيننا حتى نتلهى بالصراع عن التقدم ، وبمحاولتها الدائبة استنزاف العقول العربية واغرائها حتى لا تعود الى الارض الأم لتساهم فى التنمية العلمية والاقتصادية ، وكذلك بمحاولاتها الاستيلاء على منابع الثروة ، حتى نبقى أمة استهلاك لا صناعـة ، ونستمر مرتبطين ـ مصلحيا ـ بالغرب .

2 ـ التحـدى الاقتصـــادى :

أدى بقاء معظم الخبرات العربية فـى الخارج الى نقص فادح فى الصناعات والى انعدام المخترعات تقريبا .

وقد استقطبت الدول الكبرى الاقطـار العربية ، ففرضت على كـل قطر التعامل تجاريا مع الدولة التى كانت تستعمره ، وهـو ما أدى الى ان تكـون نسبة التجارة بين الاقطار العربية لا تمثل اكثر من نسبة 7٪ من تجارة العرب مع العالم فى سنة 1976 م مثلا . (43) ففى عصر التجمعات الاقتصادية يعانـى الاقتصاد العربى مما يلـــى :

أ ـ بطء نسق النمـو .

ب ـ تخلف الفلاحة وخضوعها لوسائل انتاج بدائية .

ج ـ انعدام الصناعات الثقيلة المنتجـة ، ووجـود بعض الصنـاعات الاستهلاكية لا غير .

د ـ نقص الامـوال الكفيلـة بالتنمية فـى الاقطـار العربيـة غيـر البترولية ، واكتظاظ البنوك الغربية بفوائض البترول العربى .

هـ ـ هجرة الكفاءات العربية الى الخارج ، وتوفرها فى أقطار عربية دون أخرى .

و ـ هيمنة الدول الاجنبية على الجانب الاكبر من المشروعات .

ان هذه الاسباب جعلت الاقتصاد العربى خاملا لا يتماشى مع العصر الذى نعيشه ، ولا مع التكنولوجيا الحديثة التى تتقدم كل يوم بخطى عملاقة . (44)

3 ـ التحدى الاجتماعـــى :

ان التخلف السياسى والاقتصادى أديا الى ارتباط العرب بالغرب ارتباطا يكاد يكون كليا خاصة فى التعامل الاقتصادى ، وهذا الارتباط أتاح الفرصة للصليبيين الجدد والقدامـى تنفيذ أغراضهم التـى لم ينجحوا فى تنفيذهـا سابقا ، وذلك لامتزاج الاقتصاد بالسياسـة .

حاولوا ضرب الاسلام ـ باعتباره أساس التماسك الاجتماعـى والترابط الاسـرى ، واساس الاخلاق والثقافة ـ حاولوا ضربـه بأيدى أبنائه وذلـك باظهاره بمظهر الدين الاستغلالى ، الذى يسلم بالطبقات بمفهومها الاقطاعى ، وذلك حتى يفرغ الدين من محتواه ، وتبتعد عنه الاجيال الشابة ، وقد ألبس الغرب الاستعمـارى حكمه على المسيحيـة للاسلام ، باعتبـار أن الكنيسـة قاومت العلم الحديث ، وسحب كثير من الغربييـن موقف الكنيسة ازاء العلم على الاسلام ، وادعوا إنه دين متخلف لا يتماشى مع العلم نفسه ولا يدعـو اليه ... وكان ذلك لابعاد العرب عن دينهم بكل السبل (45) .

(43) نعمان سيرت وحسن بلال ـ مجلـة ألف باء = 14 ـ العـدد 508 ـ السنة 11 ـ .

(44) الصباح التونسية : 7 ـ الخميس 14 سبتمبر 1978 م .

(45) محمد جبر الريفى .. محاذير العودة الى التراث ـ الاسبوع الثقافـى الليبى : 6 ـ الاثنين 2 جمادى الآخرة 339 هـ ـ /30 أبريل 1979 م .

وقد أخذ كثير من العـرب بهذا فكانت النتيجـة أن انتشـرت المذاهـب والشيـع السياسية والفكـرية ، واختلفت الآراء في الدين ، فتعكر صفـو الحياة الاجتماعية ، وتبلبل ذهن المواطن العربي ، وقـد استغلـت الطوائف السياسية الدين مـن زواياها المصلحيـة ، فتلهـى بذلك العـرب خاصـة والمسلمون عامة بالصراع المذهبي عن التقدم الحقيقي ، المتمثل في اقامة صناعات قوية ، وتعليم جماهيري سليم يرفع كابوس الامية ، ويخلق أجيالا واعية تساهم في التقدم العلمي والاقتصادي .

ان اغراقنا في التطاحن المذهبـي والمشاحنات الطائفيـة هو الذي وفـر الفرصة لاعدائنا كي يتسربوا بيننا وكي يعملوا اكثر على فرقتنا ، كما وفر الفرصة للبعض منا كي يخون قضية العرب الكبـرى فلسطيـن ، ويعانق من ذبحنا في دير ياسين وكفر قاسم وصبرا وشتيـــلا .

4 ـ التحدي الثقافـــي :

وفي غفلة العرب عن الواقع ، وفي اغراقهم في التطاحن والتخابط استغل الاستعمار العالمي وبعض أعوانه من الداخل الفرصة كي يحاولوا الاجهاز على ركيزتين اساسيتين يقوم عليهما الفكر العربي والحضارة العربية وهما :

- التراث العربـــي .
- واللغة العربيـــة .

أ ـ التشكيك في قيمة التراث :

حاولت حركـة الاستشراق المرتبطة بحركة الاستعمار الغربي النيل مـن التراث العربي والتشكيك فيه والحط من قيمته (46) . وقد ظهرت دراسات كثيرة لبعض المفكرين الغـربيين وبعض تلاميذهم من العرب تحط من شـأن الفكر العربي ، وخاصـة الفلسفـة العربيـة ، وترجع كل الاصول الفكريـة الفلسفية العربية الى اليونان . بل جعل بعضهم العـرب مجـرد قنطرة مرت عليها الفلسفات والعلوم القديمة الى أوروبا الحديثـــة .

ونعى كثيرون من عـرب وأجانب التـراث العربي ، وحاولوا فصلـه عـن الثقافة العربية ، فوصف أصحاب هذه الحملات ما كتبه اعلام الفكر العربـي

---

(46) لا ننكر أن هناك عددا لا بأس به من المستشرقين المنصفين ، وأنـا بصدد تأليف كتاب عن (الاستشراق والمستشرقين) سأوضح فيـه المنصف والمتحامل ان شاء اللـــه .

ونوابغه بالضعف والجمود ، وشككوا في قيمته وصلاحيته لعصرنا ، وحرصوا على الاستهانة بجل ما حوته كتب التراث من فكر نير ، وقيم انسانية خصبة ، وهو ما دفع كثيرا من المخلصين الى مواجهة هذه الحملات المسعورة . والمشككون يفعلوان ذلك لما يحتوى عليه التراث من مكونات أساسية تقوم عليها دعائم القومية العربية كاللغة والدين والتاريخ .

فهم يعرفون أن العودة الى التراث هي أخطر الاعمال التي تواجههم ، ولان التمسك بالتراث يعني تجذير المثقف العربي في تربته الطبيعية ، وفوق ذلك فان الاهتمام بالتراث والاطلاع عليه يعني ربط الفكر العربي الجديد بالعمل المبدع والفكر الخلاق القديمين ، ويعني أيضا استمرار هذا الفكر متواصلا متجددا عبر التاريخ ، وهو ما يركز ويوحد البناء الثقافي لمجموع الامة العربية (47) .

فاذا كان منا من ينكر التراث فان ذلك يعني بالضرورة انكاره الحضارة العربية ، لان كلمة حضارة تعني التراث الفكرى والنمط السلوكي وخصوصية الحياة التي اكتسبتها الامة عبر التاريخ .

ففي هذه الفترة الدقيقة من حياتنا لا بد من حافز يدفع العرب ويحركهم ولا بد من مظلة تحميهم ، ولا بد من أطناب تشدهم الى الارض الام ، ان كل هذا يمثله التراث .

فعصر « النهضة العربية لا بد له من الاتكاء على الامتلاء الحضارى الذى يشعر معه العربي بأنه صنع شيئا ذا قيمة في تاريخه وأنه يستطيع — كما صنع في الماضي — أن يصنع شيئا ذا قيمة في مستقبل الايام » (48) .

ب — التشكيك في اللغة العربيـــة :

ولان العربية هي أداة التعبير لدى كل العرب مشافهة وكتابة ، وهي الرابط للفكر والروح بينهم ، فقد دعا بعض المستشرقين وبعض تلاميذهم من العرب الى ابدالها بالعاميات المحلية ، وقد حاول الاستعمار بكل اشكاله ترسيخ هذه الدعوة ، وكان من شروط فرنسا لاعطاء سوريا استقلالها ان

---

(47) محمد حبر الريفي — محاذير العودة الى التراث — الاسبوع الثقافي الليبي : 6 .

(48) صفوان قدسي — هل تقوم نهضة عربية من فراغ حضارى ؟ — م . الكفاح العربي : 65 — السنة 5 — العدد 45 — 728 — الاثنين 23 — 29 نيسان (أبريل) 1979 م .

تبدل الحروف العربية بالاحرف اللاتينية فى الكتابة او تتخلى عن العربية على غرار ما فعلته تركيا . وعمد كثيرون الى الترويج على أن اللغة العربية صعبة التعلم ، وأنها ليست لغة العلم والحضارة المعاصرة ، وهى لغة شعر وخطابة لا غيـر .

وانطلى هذا على كثير من المغفلين الجدد ، فكتبوا ودعوا الى كتـابة الادب باللهجات العامية بدعوى جماهيرية الفكر ، ومـا درى هؤلاء أن فـى سلوكهم هذا يمثلون دورا استعماريا وتحديا للفكر العربى ، لان فى دعوتهم للعاميات أو كتابتهم بها خطر على قومية الادب .

كما أن الدعوة الى العاميات والتمسك بها يجعل الاستعمار والقوى المعادية للعرب ــ داخلية أو خارجية ــ تضرب عصافير عديدة بحجر واحد :

أ ــ ضرب الدين الاسلامى الذى يمثل التعبير الفصيح أساسا من أسس اعجـــازه .

ب ــ شل الناشئة العربية وذلـك بجعلها غير قادرة علـى فهم القـرآن والتراث الفكرى العربى ، وذلك لابتعادها عن الفصحى .

ج ــ ضرب الحلم الوحدوى بتحقيق الانفصال اللغوى نهائيا بين الاقطار العربيـــة .

د ــ التفـرد بكـل قطر علـى حـدة لاستغلالـه اقتصاديـا وتوجيهـه سياسيا . (49) .

كما أنه من البديهى أن النزول الى اللهجات العامية لا يعنى التطور ، انما يعنى التبدل ، أى تبديل بنية اللغة ببنيـة أخرى هى بنيـة اللهجـة . « أما التطور فهو امتداد للبنية القديمـة يحفظ تواصلها ، ويؤهل الباحث والفنان المتمكن لان يستفيد من القدرات الهائلة الكامنة فـى اللغة . ولا يمكن بهـذا الاعتبار أن ننظر الى الفصحى وكأنها مجرد ظاهرة اجتماعية ، وانما ينبغى أن نذكر ــ فى الوقت نفسه ــ أنها تمتلك منطقا داخليا متفوقا يجعلها متفوقة من حيث صيغها التكوينية ، وبالتالى فانها قادرة ــ اذا كان الباحث أو الفنان قادرا ــ على التعبير عن معان وحالات لا يمكـن لاى لهجـة عـامية ان تمتلك

---

(49) نور الدين بن بلقاسم ــ العربية بين الواقع والممكن ــ مجلـة الحياة الثقافية التونسية : 71 ، العدد 2 ، السنة 4 ــ ربيع الثانى ، جمادى الاول 1399 هـ /مارس ، افريل 1979 م .

منطقا يجاريها فى طاقتها » (50) التعبيرية وأبعادها المعنوية . هذه التحديات الكبرى تقف حجر عثرة أمام الحضارة العربية الجديدة ، فتشل التقدم وتعطله .

فهل استطاع الادب العربي ان يلعب دوره فى مواجهة هذه التحديات ؟ .

الحقيقة ان الشعر العربي الذى يكتبه خاصة شعراء السبعينات وما بعدها يكاد يكون شعرا واحدا ، فالقصيدة فيه تهرب من المعنى لا من الموضوع ، وهى تتوسل ـ فى الكتابة ـ بأساليب لا تؤدى الى معنى ؛ وقد اخذ شاعر السبعينات والثمانينات باللف والدوران حيلة منه حتى يتمكن بها من ان لا يقف..

يقول غسان مطر فى بعض قصائده :

اسافر بين النقائض
للنار فى رئتى نكهة الثلج
للثلج فى رئتى نكهة النار
من يتوزع مثل شهيد الحرائق لا يسكن المفرده
ساشهد أنى تناثرت ألفا وجمعت ألفا
وايقنت أنى برىء
لماذا تطاردنى اللغة الملحده ؟
واشهد انى بكيت وناديت يا جرحها .. وانتهيت
بطيئا بطيئا ... مشيت الى جرحها كانت الأورده
موصده
تشبثت بالنبض حتى افاق واعلن من شفتى مولده . (51) .

ويقول عمر أزراج من الجزائر :

متى تجلس الريح جنبى
لأعرف شكل السماء
وانهى مغامرتى فى بلاد البكاء ؟
وحان لكى اكتب الآن عنك

---

(50) خلدون الشمعة ـ هذا النمر ليس من ورق ـ مجلة الكفاح العربي ـ العدد 45 ـ 728 ، السنة 5 ، الاثنين 23 ـ 29 ، نيسان (ابريل) 1979 م .

واعلم ان الحقيقة رمز سحيـــق
وان بلادا تخون احبتها تقاتلهم فى العراء
هل الأنبياء حقيقـــة ؟
هل البحر ماء واشرعة وسفينة ؟
أليس حواس ؟ أليس ذراع مهاجـــر ؟
سؤالك برىء والمدينـــة ؟
قدمت استقالتهـا من الحكـم
هل الأنبيـــاء حقيقـة ؟ (52) .

فالقصيدة صارت كلامـا موسيقيا ، لا يعطى الشاعر خلاله فرصة للتوقف أو لطرح قضية من القضايا ، فقد هربت القصيدة من اللغة التى تقدم المعنى ، وأصبحت قصيدة للصور المتداعية ، وحشـوا من الالفاظ التى تشير الـى الاشياء دون أن تشير الى المعانى .

فهى مفردات وصور يأخذ بعضها برقاب بعض بحيث توحى أن الشاعـر يعكس عملية عقليـة مـن طرف واحد ، وتيارا نفسيا لا يحـاول أن يتدخـل فيـــه . (53) .

فتداعيات الصور ولف القصيدة ودورانها هو الداء فى الشعر الحديث .

والمعنى المباشر هو الاصل فى الشعر العربى من أقدم عصوره .

فقد كان الشاعر القديم قادرا على أيقاف التداعيات وقادرا على ايقاف هذه التداعيات نفسها فى حكمة أو صورة ، مما يجعل المضمون يصل كاملا الـى الجمهـــور .

ولكن الشاعـر الحالى تنكب هذه الوسيلة دون أن يبتكر طريقـة جديدة لتكثيف مغزى تجربته ، مما جعل الشعر منحلا مسترخيا فى هذا الانسياق ،

---

(51) غسان مطر ـ قصيدة صالحة للقراءة مرة واحدة فقط ـ مجلة الفصول الاربعـة : 31 ـ العدد 15 ـ الجماهيرية الليبيـة ـ ذو القعدة 1390/ سبتمبر 1981 م .
(52) عمر أرزاح ـ صليحة ـ الفصول الاربعـة : 19 ـ السنة الرابعـة ـ العدد 15 ـ ذو القعدة 390 هـ/ سبتمبر 1981 م .
(53) أحمد عبد المعطى حجازى ـ ملحق جريدة « الثورة » العراقية .

ومما يدل على ضعف القوة المفكرة عند الشاعر الحاضر (54) ، وهو السبب الذى حمله على الجرى وراء ايقاعات سطحية وتصورات سقيمة ، دون تركيز على المعانى التى هى الرابط الاصلى بين الشاعر وجمهور ، أو بين عالمه الداخلى وبين العالم الخارجى الذى يسعى الى تغييره ولم شتاته المبعثر .

والقصة العربية المعاصرة هى مثل الشعر الحديث تقف مع الابهام والغموض وتغريب القارىء فى متاهات من التفكك والضياع . وهى فى كثير الاحيان ليست جيدة لانها لا ترتبط بالوقائع الاجماعية المتحولة والمتناوبة فكثيرون هم كتاب القصة المعاصرون ، ولكن المجيدين منهم قليلون ، لانهم مثل الشعراء يجرون وراء التداعيات والموسيقى اللفظية .

والأدب الجيد ـ عندى شعرا ونثرا ـ هو الذى يطرح قضايا ، ويصور حالات ، ويرسم عقليات ، ان ادبا لا يقصد المعنى مباشرة ـ لكى يمرر رسالته الى الجمهور دون واسطة ـ هو أدب لا يستطيع أن يصور الرعب الحقيقى والظروف غير الانسانية المفروضة على الانسان العربى فى هذه المرحلة من تاريخنا ، وهو بالتالى أدب لا يستطيع أن يقف على قدميه بقوة أمام تحديات متنوعة وشرسة تهدد مصيرنا . هذا فضلا عن أن يقف أمام التحديات التى تقف عرضة أمام تطور الفكر العربى نفسه ، وهذه التحديات الاخرى يمكن أن نرتبها كما يلى :

1 ـ تناقض رجال الفكر بين القول والفعل .
2 ـ محاولات لجر الشعب الى الابتذال الثقافى .
3 ـ سيادة الامية حطت من قيمة الادب .
4 ـ غربة الادب نتيجة الفهم الخاطىء للمعاصرة .
5 ـ عالمية الادب ليست فى اقتلاعه من تربته .

هذه التحديات الاخرى جعلت الفكر العربى المعاصر عامة غير فعال ، والادب العربى خاصة غير مؤثر فى الواقع .

ـ يتبع ـ

نور الدين بلقاسم

(54) محيي الدين صبحي ـ مضادات ثقافية ـ مجلة الكفاح العربى : العدد 63 ، السنة 6 ، الاثنين 27 آداب (أغطس) 2 أيلول (سبتمبر) 1979 م .

لاَ غالِبَ الاّ جسَدي

شعر: الحبيب الهمامي

قُلْتُ لِلَّيْلِ انْتَصِفْ ، فَانْتَصَفَ الفَجْرُ
وَكَانَتْ طِفْلَةُ البَحْرِ تُغَنِّي لي .
وَلِلرَّغْبَةِ تَجْتَاحُ عُرُوقَ الصَّخْرِ
تَغْزُو كَبِدَ النَّمْلَةِ
تُخْبِي حُلْمَهَا ، وَالحُلْمُ أَنْ تُصْبِحَ بَحْرًا
قُلْتُ لِلَّيْلِ انْتَصِفْ ، فَانْتَصَفَ الكَوْنُ
وَكَانَتْ طِفْلَةُ العُشْبِ تُعَانِي
مِنْ غُصُونٍ تُثْمِرُ الرَّفْضَ
عَلَى شَكْلِ لُغَاتٍ
يَنْطِقُ المَوْجُ بِهَا ، وَامْرَأَةُ الرَّعْدِ الَّتِي ..
تَفْتَحُ فخذيها لِوَحْيِ المَطَرِ الأَخْضَرِ
تُخْبِي زَهْرَةَ الوَقْتِ
وَتُخْبِي لُغَةَ المَاءِ
وَتُخْبِي عِلْمَ اسْرَارِ النَبَاتَاتِ
وَحِقْدَ الدَّهْشَةِ الحُبْلَى
بِطُوفَانِ الفَرَاشَاتِ

سَيَجْتَاحُ فِرَاشَ اللغَةِ الأُنثى
وَيُعْطيهَا مَفَاتِيحَ الزّغَارِيدِ الّتِي تُطْلَقُ
حِينَ الأَرْضُ تَشْتَاقُ إِلَىَ وَجْهِي وَلاَ تَرْسُمُهُ
يَأْخُذُهُ التيهُ عَلَىَ أَجْنِحَةٍ مِنْ زَبَدِ المَوْتِ
أَقُولُ : الشَّمْسُ مَنْفَايَ
وَتَارِيخي جُنُون
وَعَلَىَ مَنْ تَشْتَهِينِي
أن تُنَادِيني بأسماء لَهَا عُمْقٌ
وَلها طُولٌ
ولها عرضٌ
ولا أرضٌ
عَلَىَ من تشتهيني
أن تناديني إلى لدى النبوءات
وتعطيني حليب الزمن الآتي
على من تشتهيني
أن تقولَ : النّهرُ حِبْرٌ
ودم العاشق نهرٌ
والعصافير نساءٌ
وعَلَىَ من تشتهيني
أن تقول : الكونُ شعرٌ

* * *

سأُسَمّي لُغَتِي عُشْوًا
وادعو نجمة المنفى إلى حفلةِ جِنْسٍ

سَأُسَمِّي الحُلْمَ قَبْرًا
وأسمي القَبْرَ حُلُماً
أحمِلُ العالم في كفِّي
وامْضِي نحو أشياءَ أسميها نَساءً أو فضاءاتٍ
أُعَرِّي كبِدِي يَنقرُهُ السكرُ
على مرأى من الغبطةِ .
هَلْ أنقُلُ أسْرَارِي وأحوالي وَأجراسي
إلى طَقْسِك
هل ادْخُلُ فِي وردةِ فُسْتَانِكِ
كي أنسج أرضاً
بخيُوطٍ من دَمِي
هلْ أزْرَعُ الكونَ على نَهدَيْك
كي تَثقُبَنِي الدّهشَةُ مِنْ عَشْرِ جِهَاتٍ
وأرَى القبْرَ أمامي بَيْنَ فَخذَيْنِ يُنَادِيني
فأنمُو فيه مَرّاتٍ
وامحُو حَجَرَ العَثْرَةِ
امحُو حَرَسَ الليل
ولا غَالِبَ إلا جَسَدِي
في جَسَدٍ آخرَ يَسْعَى

الحبيب الهمامي

ليلى .. لا ألف ليلى !

قصة : فاطمة حيدري

ـ 2 ـ (*)

ملأ الحقد قلبك ٠٠٠ وانفجرت موجة من الآلام مثل بركان غاضب ٠٠٠ فتمنيت فى صمت ٠٠٠ تمنيت متأملة بان يحدثوك عنه وقد انهار كالجدار المنسوف .. أن ترينه ضعيفا ، عاجزا ، فقيرا بلا مأوى ولا قوت ، يطاطىء رأسه الى الارض ٠٠٠ يتنازل عن قسط من الغرور ٠٠٠ أن يصطدم فى الطريق بسيارة ما ٠٠٠ بقطار ينهب الارض ٠٠٠

يفرط فى السرعة ولا يحترم قوانين السياقة ولا اشارات الاضواء ٠٠ يتجاهل شرطة المرور ٠

تمنيت أن يحدث له ثقب بعجلة السيارة ٠٠٠ فتحتضنه شجرة عملاقة فى خارج البلد أو عمودا لا يرحم ٠٠٠ فيسقط وتنهزم أنانيته جريحا ، فاقد الوعى ملطخا بالدماء يلتف حوله الناس تتأخر سيارة الاسعاف ٠٠ وفى المستشفى كل الاسرة قد حجزت فيضعونه على الارض ٠٠٠ بينما أنت بغرفتك منكمشة ، تستمعين الى المذياع ٠٠ ينقطع الصوت فجأة ٠٠ نداء الى أهل البر والاحسان :

ـ «من يتبرع بدم لجريح فى حالة سيئة والله لا يضيع أجر المحسنين»

تشمتين تفرحين ، تحزنين ، تبكين عندها ٠٠ شيئا فشيئا يضيع أنينه تنطفىء أحلامه ٠٠٠ تسكن ذاكرته ٠٠٠ فيضيع ماله ويلاشى ويخرج من حياة مصطنعة .. وينتهى الحوار بينك وبينه عندما ينتهى أمام الاطباء .. تلبسين

(*) انظر « الفكر » ع : 6 ، س : 30 ، مارس 1985 .

السواد .. تقصين شعرك ... تزورينه بمقبرة الحي تضعين على قبره خبزا وزيتونا ... تجلسين في خشوع تتحسسين التراب وهو تحته تحتفل به الديدان .. تمتص عينيه .. تتغذى من جسمه .. وهو مطبق بين اللحود والتراب ... تذكرين كيف كانت المرأة في حياته بضاعة يطلبها ... يساومها ... يشتريها .. يغيرها .. يرفضها والجديد يأتي ... طفت عليه المادة ... فوضع المرأة في ميزان ... هكذا تعلم من الغرب ..

وتساءلت في التياع :

ـ كيف يسمحون له بان يكون من ضمن موتانا بمقبرة الحي وقد كان يجهل الشهادتين ؟..

وتتلاشى أمنيتك كأوراق الخريف عند الغروب ... ويأتي المساء ثقيلا... وفي الصباح تمر سيارته تطوى الارض كالعادة في تحد فاحش ... كأنه يقول لك :

ـ «أنا فنان وراء المقود .. الموت نصيب كالحب والزواج يا صغيرتي !»

بكيت هزيمتك ... في صمت لانك أحببت رجلا منعدم الاحساس .. وقد تحولت من فتاة واعية أمينة الى فتاة ثائرة مضطربة العواطف ...

والتقيت به بعد هذا كله .. فحدثك بحدية ... لان في ذلك الوقت كانت شباكه خالية من الاسماك ... تحركت كل أعضائك له .. مازلت تريدينه.. غالطت نفسك ، فمات الحقد في قلبك ... وعلى الطريقة الاوربية ... طلب منك تناول بعض الحلويات من صنع محلي على مائدته .. قبلت الدعوة دخلت البيت ... تتساءلين مشدوهة :

ـ ما هذا الديكور ؟ أأنا في متحف !؟... لوحات على الحيطان مستوردة.. قاعة الجلوس .. كأنما هي حديقة زهور بها حوض للاسماك الملونة .. الزرابي ملونة .. الجدران ملونة .. الوان .. الوان .. أبهة تتحدى الفناء !

في ذهول أمعنت النظر في كل تحفة ، بحثت عن تاريخها عن ثمنها ، من أي بلد،أحسست بمتعة رسام يغوص في لوحاته بعد جهد .. المنزل محاط بحديقة فيها أنواع الاشجار والورود بالوانها وأشكالها ... الياسمين قد تدلى وتشابك واحتضن مدخل الحديقة ...

لكن .. فوجئت بان البيت كان مقرا لمن يهربن من الاعين المتطفلة ، لمن يركحن لعدسة الالتقاط المسيرة إلكترونيا فاذا هن صور ملونة في وضعيات

جنسية مختلفة فى اطر على جدران ذلك البيت ·· عرفت من بينهن شفيقة بنت الجيران !

تراجعت كل الاشياء الثمينة سقطت أمام عينيك ·· تبعثرت ·· تكسرت، وأنت تشاهدينها ·· تأتيه بدون خجل فى شهر معظم تدخل بشجاعة بعدما اعترضها وساومها ، فقبلت لان المبلغ كان مغريا ·· فاحتقرتها ، لعنت أمثالها أقسمت أن لا تعودى ··· أمسى ذلك المكان بمثابة كوخ مهجور فى قرية نائية ···

التقيت به بعد هذا كله خارج المؤسسة ··· فاستنفر غضبك ·· عاتبك فلفك الصمت ·· وقال :

ـ أحبك ·· أحبك ·· أحب كل النساء كل ما هو جميل ··· ما حيلتى وقد خلقت هكذا ، أنت امرأة أنانية ··· همك كل همك أن تمتلكى الاشياء··

انسحب فتمسكت بالصمت ·· تحديت ساعة اللقاء ··· غيرت طريقا معاكسا ··· طال سكوتك ··· أحدثت حريقا فى كل ما كتبت من ذكريات·· اضمحلت لهفتك ·· أفقت عقلك فعاد اليك ··· وانتظرت ربما يأتى معتذرا، معترفا بحسن نيته ، يبكى والدموع دليل العجز والاعتراف بالذنب انتظرت·· انتظرت حتى أباك أن يأتيك معتذرا ، يبكى نادما عما مضى فيطلق سراحك · عندها لا تنسى أمك الحبيبة ··· خذيها معك من وراء ستار حجب عنها أشعة الشمس وزرقة السماء ··· لتطير معك من حى تنام فيه قلوب تحمل نفس الاسطورة ... ضعي يدك فى يدها ... ساعديها على فهم ما تجهل بمنظارك الصغير ···

لا فائدة بدأت تيأسين ··· قلبك ينزف حزنا ونور عينيك يخبو لحظة بعد لحظة ··· التعثر فى الكلام افقدك متعة التعبير حددت سلوكك والتزمت احترام نفسك كى لا تكونى اسيرة لعواطفك ··· من أجل المحافظة على ذاتك وكيانك ··· واعطاء حساب لكل شىء ، وقف حبك فى أول خطوة ··· أردت أن يفهمك ··· يفهم لغتك افكارك ·· يحرر نفسه من آراء بالية جاء بها من وراء البحر ··· أن يدرك بأنك حق بسيطة كما وصفك ·· لكن لن تعيشى الخديعة مع من تجنس على أجراس الكنيسة ...

الايام تعاقبت ، نفذ صبرك ، قدمت استقالتك من الوظيفة رغم عدة عوامل تمنع قرارك ·· انزويت تحاسبين نفسك ·· استرجعت أنفاسك ·· فكرت فى العودة للدراسة ··· الطريق شاسع ··· كيف تعودين للدرس وقد

كبرت !؟٠٠ تحملين بين أضلعك تجربة مع ذكريات مؤلمة ٠٠! وكان اليوم السادس من نفس الاسبوع الذى قدمت فيه استقالتك اجاءك ساعى البريد برسالة ، فتحتها فى ارتباك هامسة لنفسك :

ـ كسبت الرهان ..!

لكن جاء فيها صراخ حاد يخالف همساتك العطشى :

ـ « صغيرتى ،

أى مدرسة احتضنتك ؟ ماذا تعلمت مدة سنى الدراسة ؟ لغة النحو والصرف ٠٠ علم أصبح لا ينفع لم تفهمى الاشياء على حقيقتها ٠٠ أنت جاهلة، متخلفة ، رجعية ٠٠٠ عودى من جديد ٠٠ تسلحى بالمزيد ٠٠ تعلمى لغة الارقام ٠٠٠ كيف تتعاملين مع الرجال ٠٠٠ تذوقى طعم الحياة قبل ان تمر القافلة ٠٠ أنا رجل مهما تقدم بى السن أجدها ضائعة فى الزحام ٠٠ فى كل مكان كونى لطيفة ، بشوشة ، لينة فهذه الخصال جمال الانوثة ٠٠ الا تعلمين بأن هناك فى بعض البلدان الافريقية والآسيوية عوض الدروس الرياضية والاقتصادية والسياسية يدرس فن الحياة الجنسية ؟!٠٠

الحب يا صغيرتى كالطعام والهواء ٠٠٠ غريزة ٠٠ هبة من الطبيعة ٠٠ لا تكونى جبانة فالعيش بين احضان رجل ، حق ، حرية الاختيار ، بداية الاستقلال الذاتى ٠٠ لن يحاسبك عليه القانون ٠٠٠ اسمعى ندائى ، فان تخليت ، فانت حيوان فى شكل انسان ٠٠ كونى كفيلة بتجاوز بيئة مخطئة فى معاملتها لك ، جعلت منك آلة لا تنفع ٠٠٠ رمتك بسجن محرم فيه عليك التصرف فى حريتك ٠٠٠

من أنت حتى ترفضى زيارة بيتى ؟.. و ..... ومن أنت حتى تحدي تصرفاتي ؟ وعلاقاتي ؟ وأنا قد تعلمت باكبر المدارس الاوربية وصاحبة العيون الزرقاء والشعر الذهبى لم تبخل علي !

انت يا صغيرتى تجهلين اسرار بلدك الصغير ، ما بالك لو زرت مثل باريس وتركيا واليونان وكاليفورنيا !؟٠٠

باريس يا صغيرتى كل ما فيها جميل وخلاب ، رائع ٠٠ مدينة بالليل لا تهدأ ، لا تنام ، الاضواء فيها نجوم معلقة فى السماء ٠٠٠ السهر متعة ٠٠ هناك تعلمت النحت ٠٠ تعلمت كيف اغرق ، كيف أعلو على السطح فى باريس عندما نغرق نكتشف جمال عمق البحر ٠٠ اسراره ٠٠ ثم نرسى على

البر نحلل المحاصيل ... بعد التعب ، مشاكل النهار وبرده .. نعيش متعة الغوص ... هواية نتفرغ لها كليا ...

النساء يا عاشقتي هناك ، اختلفن في الاشكال ... الواحدة منهن بيضاء.. حمراء .. عارية ، ساحرة ، تلعنها الملائكة فتلعن الآلهة ، تأخذني في دلال كالطفل الصغير من مهده ، نأكل ، نشرب خمرا ، نرقص ، نغني ، نضحك من كل شيء في كل شيء .. والليل طويل .. مع الفجر تبدأ الحياة تحت أضواء خافتة ملونة متلونة ... اتصبب عرقا فتمتصه بمنديلها المعطر . فاحترق وأذوب فأطلب مزيدا من الخمر .. تأخذني الى بيتها تخلع حذائي ، تدثرني ، تعطيني شرابا ساخنا فتأخذني الاحلام هكذا بدون مقابل ..

نعم في بلاد الشقراء نشتري اللذة بدون شيء من تلقاء نفسهـا ، تـأتي للبحث عني ... تطرق بابي بدون موعد ، في صمت بلا مقدمات .. فأحبها بجنون لم لا ؟ .. وقيمة العطاء عندها بلا حدود

أما في اليونان وتركيا وكاليفورنيا ، أعطتنا الطبيعة بلا نهاية .. نمارس هوايتنا بلا عنصرية ... نصطاد أسماكا ضخمة رائعة ، رائعة .. مغرية.. لن أحدثك الكثير . يا صغيرتي ... عالم من الدهاليز ... اخاف عليك من عطب في الذاكرة ...

أنت لا تعين ما تقولين .. تعشقين مثل الصبية في خجل ... أنت تجهلين الحب وأعماقه وما وراء الاعماق . أنت أرض جرداء قاسية لا تنفع .. نشأت في تربة قاحلة أنت صحراء فيك المسافر الغريب يموت عطشا . أنت صغيرة، بائسة .. معقدة ، الخوف يلفك من كل الجهات .

وأخيرا قبل أن أودعك على أمل اللقاء .. فكري ، مزقي شراع الصمت .. تحركي بعقل كبير ... عندما تقررين ... تجدينني فأنا في كل مكان ، انا مدرسة بحالها .. روضة للصغار أمثالك ... سأجعل منك ألف ليلى » .

الى اللقـاء

تحكمت في حبس دمعك ، احتوت نفسك كل أنواع المعاناة ، لازمت مكانك، أخذت القلم ... تراجعت في الاجابة .. لائحة عرضت عليك .. يجب ان تدافعي بحثت عن الكلمات .. تخلصت من القلق .. جمعت شجاعتك وكان الـرد :

تونس ـ مارس 1982 :

« أتذكر يوم فاتحتك فى الموضوع ... وضعتك أمام السؤال وكان الجواب مرا ، وضحت لى المسافات الطويلة التى تفصلنا عن بعضنا البعض منها : الحى الذى أسكن فيه ٠٠ مركز أبى ٠٠٠ لغتى التى يغلب عليها طباع أهل الريف ٠٠٠ كنت أجهل الفوارق الاجتماعية ظننت بأن احساسى الطاهر يحطم كل الحواجز ٠٠

يومها فتحت لى ملفات من التحقيق ٠٠ جعلت لحبى قضية ٠٠
لا أنكر بأنى أحببتك ، واجهتك بدأت السؤال ٠٠

لا أنكر يوم التقينا كنت أغرق أتنفس بضيق ، أقاوم ٠٠ أجهد نفسى ٠٠ ظننتك بحر السلام ٠٠٠ ارتطمت بصخرة النجدة ٠٠ تشبثت بها علنى ٠٠٠ فكان صدرك العريض ٠٠٠ احتضن رأسى يبحث عن الامان ٠٠ عن الدفء يوم عرفتك ، باتت حياتى جزيرة من الطموحات ، من الاحلام مطوقة بأحلى ما قال الشاعر عن أجمل كلمة أهدتها الطبيعة الينا [الحب] ٠٠

جعلت منك أحلى الرسوم يعجز عنها رسام محترف ... قصورا من الحب بنيتها ٠٠٠ تفننت فى الزخرفة بأصابعى ، أخيرا تيقنت بأنى ركزتها على سطح الرمال ، شاهدتها بعينى رأسى تذروها الرياح وأنا لا أصدق عينى ، يدى ، وعقلى ٠٠ ان الحواس لتكذب !

أنا لست بجاهلة ولا صغيرة ٠٠ أنا أعرف كيف أصبر وصبرى دهر بحاله ٠٠ أعرف بأنى رجعية ، ريفية ، لكنى قادرة على امتلاك نفسى عندما تتفاقم الاهواء ٠

كفاك مراوغة ٠٠٠ لقد أدركت بأنى لا أحسن معاشرتك ، فقررت بأن أتحرر ، نعم لقد علمتنى التجربة بأن الكرامة أجمل من كلمة [الحب] ٠٠ أجمل كلمة حفظتها فى حياتى مكنتنى من الرؤية من فوق الحواجز ٠٠٠ قررت الانسحاب كى لا تنظر لى نظرة ابتذال .. تستغل لحظة يأسى وضعفى ٠٠ فتتلذذ بهزيمتى وتنتزعنى من صمتى وواقعى ٠٠ قلبت القضية ليصبح السجن حريتى فيه .. أتظل « ألف ليلى » عندك « ليلى واحدة » عندى .

ماذا علمتك المدارس العليا باوربا ؟ علمتك ان تنسى ٠٠ بأنك تونسى أن تتجاهل قوميتك ؟!٠٠

فمهما تعلمت وذهبت الى أقصى العالم وتحصلت على شهادات عليا فى جميع اللغات الاجنبية ٠٠ فأنت عربى من أب وجد عربيين ، غيور ثورى الطباع أصلك ٠٠٠ عندما تمل حياة العزوبة وتفكر فى الاستقرار ترفضنى ٠٠ ترفض أمثالى ٠٠٠ وتبحث عن زوجة مثالية لم تفكر فى غيرك من قبل ٠٠٠ تحاسبها عن مشاعرها ٠٠٠ أسرارها ٠٠ أخطائها ٠٠ ماضيها ٠

ماذا فعلت عندما عدت من الغرب . هل جئت بزوبعة علمية ثقافية هدية لهذا الوطن ؟ أم جئت بزوبعة لا أخلاقية تغير بها التقاليد والعادات التى لم تعجبك ؟

ماذا ورثت من بلاد الشقراء صاحبة العيون الزرقاء ٠٠٠ فان كانت أفكار المثقفين على هذا النمط ، فليصمت الحب ! وليذبح فوق أرض وطنى وتبكيه كل العذارى !

أما أنا فقد تعلمت كيف اجتاز العقبات ، كيف آخذ حريتى ٠٠٠ كيف أواجه الآخرين حتى أبى بدون تعثر ٠٠٠

قبل أن تأتينى رسالتك أخذت قرارى ٠٠ لانى مجبرة ٠٠٠ لانى تعبت المقاومة ٠٠٠ فقررت دورى فى تمثيلية هذا الوجود وذلك قبل ان استستلم فأعاشرك بدون ورقة قانونية مسلوبة الارادة ٠٠٠ فلا تنسى بأنك طلبت منى ثمنا باهضا فلن أدفع ... لانك لا تبصر ما أبصر .. ولانى « ليلى واحدة » ولن أصير « ألف ليلى » أبدا !

اليوم خرجت من حياتك ، فلن يقف العالم ، كل شىء على طبيعته يمضى ٠٠٠ وأمضى أنا بثبات رغم جروحى لانك لست قدرى ٠٠ لان حبك مجرد حادثة عابرة ٠٠ كان رحلة مرهقة عبر الصحراء ٠٠٠ ولانى كرهت كل الامانى والاحلام والاماكن التى تجمعنى بك ٠٠ ولانى فضلت الحرمان والعذاب عوض أن أشاهد التلاعب بى والحدة والتحدى فى عينيك كانت استقالتى من العمل فى مؤسسة تأويك ٠

هذا قرارى ٠٠٠ ولا أنكر بانه فوق طاقتى ٠٠ أنت وأنا ٠٠ مخلوقان نختلف فى المبدإ والاصل والغاية ، ولكل منا زمان ومكان .

لقد خسرت ما كنت أحمل فى قلبى ٠٠ تلاشى بمرارة وأنا صغيرة ، فقيرة ٠٠ جبانة كما تدعى ٠٠ لكن ليس مهم ٠٠ الحياة - عندى - لن تتوقف على رجل واحد . كما أنها لا تتوقف - عندك - على امرأة واحدة ! » .

فاطمة حيدرى

ذكرياتي مع صلاح عبد الصبور

لغة الحياة اليومية

بقلم : عز الدين المناصره

(*) – 2 –

وكان الشعراء يستخدمون مصطلح « المعادل الموضوعي » عند اليوت دون تعمق في مصطلحات اليوت النقدية . اما النقاد العرب فقد سلخوا الشاعر ت . س . اليوت عن حركة الشعر الانجلو – أمريكي وجعلوا منه أسطورة . أما الشعراء العرب اليساريون فقد وصفوا اليوت بأنه شاعر ميتافيزيقي رجعي رغم أهميته كفنان وتحدث آخرون عن فاشية ازرا باوند وفي المقابل تحدث الطرف الليبرالي عن الشعارات في شعر مايكوفسكي وناظم حكمت . وهكذا جاء عام 1967 ليكتب النقاد بوضوح عن وجود اتجاهات فكرية متصارعة بين أجنحة الشعر الحديث ، وقد اصبح واضحا أيضا ان الشعر الحديث هو المقروء . لكن ظاهرة وصول الشعر الحديث الى الجمهور بمعناه العريض لم تتم الا على أيدينا نحن الشعراء الفلسطينيين منذ العام 1967 . في حين ظل شعر الرواد يكتسب جمهور المثقفين وطلبة الجامعات فقط وهذه حقيقة يقر بها النقاد العرب . ومع هذا كله فقد استمر هجوم التقليديين على الشعر الحديث حتى أواخر الستينات : أذكر مرة حين اقيمت أمسية في دار الادباء المصريين تحدث فيها كل من : يوسف السباعي وصلاح عبد الصبور وأمل دنقل وعز الدين المناصرة ، كان صلاح متوازنا في رأيه ، أما السباعي فشن هجوما علينا فقمنا بالرد عليه . مما جعل ابراهيم الورداني يهاجمنا هجوما فظيعا أنا ودنقل في زاويته « صواريخ » في جريدة الجمهورية في حين هاجمنا بعنف صالح جودت في « المصور » ووصفنا باننا أصحاب « الشعر الغضروفي » و « الشعر القرمزي » وكان التقليديون يتندرون بابيات صلاح الشهيرة :

(*) انظر « الفكر » ع : 6 ، س : 30 ، مارس 1985 .

وشـربت شايـا في الطريـق
ورتقـت نعـلي
ولعبت بالنرد الموزع بين كفي والصديق ...

كان التندر يقوم على أساس أن الشعر لا يستخدم كلمات مثـل : الشاي والنعل والنرد .. الخ بل ينبغـي أن يستخدم لغة المتنبي وامـرىء القيس . وكنا نرد عليهم بالقول : اكتبوا شعر حياتكم اليومية بدلا مـن استعارة لغـة المتنبي . فكانوا يرفضون دخـول الالفاظ اليومية في الشعر ويقولون : مـا الفرق بين كلامكم والكلام العادي . وكان الهجوم يتضمن استشهادات من شعر عبد الصبور على وجه التحديد وليس شعر عبد المعطي حجـازي . وأعتقـد أنهم أرادوا ضرب رأس الحركة الشعرية المصرية أي صلاح على وجـه التحديد فقد رفض صلاح لغة القاموس الشعري السائد ولهذا كانت لغته الخـاصة . وكان صلاح يـردد : أنا أستخدم لغة حياتي اليومية مثلمـا كـان الجاهلـي يستخدم لغة حياته اليومية ومثلما يحق للاندلسـي أن لا تتطابق لغتـه مـع الشعر الجاهلي فانه يحق لنا أن لا تتطابق لغتنا الشعرية مع مـن سبقونا .

كنت أنا والبياتي والفيتوري نعيش كشعراء عرب في مصر ولهذا كانـت صداقاتنا وطيدة . رغم وحشة الغربة عـن الاوطان . ورغـم أن مصـر قـد فتحت أبوابها لنا بمنابرها الثقافيـة وجامعاتهـا وصحفها وإذاعتهـا ، الا ان الامر لا يخلو من بعض المضايقات ، فقد ألقي علي القبض في اليوم الاول من جوان 1969 واعتقلت ليومين بسبب القائي قصيدتي « أضاعـوني » في كلية الهدسة بجامعة عين شمس وكان الهدف من الاعتقال هو معرفة انتمائي لأي فصيل في الثورة الفلسطينية وكنت أيامها قريبا من الجبهة الشعبية لتحريـر فلسطين ، كذلك فهم أن القصيدة تعني النظام المصري . ولا أنسى تعاطف المثقفين المصريين معي وخصوصا أمل دنقل وصلاح عبد الصبور ، قال لي صلاح وهو يطيب خاطري :

لا تحزن فقد يحدث نفس الشيء معي او مع غيري من الزملاء .

كان صلاح يشعر أنه مصري أصيل ومن حق الشعراء العرب المقيمين في القاهرة عليه أن يزورهم بين الحين والآخر : مرة قال لي : هيا بنا نزور عبد الوهاب البياتي وكنت متعودا على الجلوس مع البياتي في مقهـى « لاباس » في شارع قصر النيـــل .

توجهت مع صلاح لزيارة البياتي في مقر غرفة عملياته في « لاباس » فوجدنا الدكتور عز الدين فودة وقد كان أستاذي الذي درسني مادة الاشتراكية العلمية في كلية دار العلوم ووجدنا آخرين . أذكر ذلك اللقاء لانه تم بعد كارثة 1967 وكنا جميعا نتناقش بصوت عال وكان صلاح يتحدث بحزن قريب من اليأس القاتل ولكنه أشار الى الامل الوحيد الذي يمكن أن تحققه الثورة الفلسطينية وتحدث عن الشعراء الفلسطينيين الشباب في فلسطين المحتلة الذين بدت أسماؤهم لنا غير مألوفة في ذلك الوقت ، حتى أن البعض كان يخطيء في ذكر أسمائهم وقد حاول صلاح - بطلب مني - ان يكتب رأيه فيهؤلاء الشباب وقد كتب ذلك فعلا في مقالة له فيصحيفة الانوار اللبنانية فيديسمبر 1969 وكان مقاله يمثل خطا نقديا صحيحا قياسا على النقد الاعلامي الدوغماتي التجاري الذي كان سائدا آنذاك حول شعر هؤلاء الشعراء الشباب . وقد دعوت صلاح الى مهرجان فلسطيني أقيم قبل النكسة بشهور وتحديدا في مارس 1967 بدعوة من الاتحاد العام لطلبة فلسطين فلبى الدعوة . وقد قرأت مع عدد من الزملاء أشعار هؤلاء الشباب لاول مرة في أمسية عامة في القاهرة وكان المكان هو نقابة المحامين على ما اذكر . وقد أعجب كثيرا بشعرهم وقال لي : كنت اراهن عليك وعلى فواز عيد فقط من بين كل الشعراء الفلسطينيين في الستينات ، أما الآن فلا بد أن أعترف أن حركة الشعر في فلسطين المحتلة ستضيف الكثير وسوف تنقضونا من شعر المخيمات وشعر وكالة غوث اللاجئين » . وكنت قد اطلقت هذا التعبير « أدب وكالة الغوث » في احدى الامسيات . وفرح صلاح أكثر حين أخبرته بأن اسمه وصل هؤلاء الشعراء وأنهم يعلنون تأثرهم الشعري به وبالبياتي والسياب ونزار قباني ، واطلعته على قصائد لمحمود درويش تأثر فيها بصلاح .

وفي تلك الجلسة مع البياتي تناقشنا طويلا حول الاحزاب العربية اليسارية واليمينية وحول قضية الحريات . وكان صلاح حانقا على الاحزاب وظل يكرر جملته : الشعب بحاجة للخبز والحرية . وكان صلاح يزور الطلبة الفلسطينيين ويناقشهم وأحيانا كنت اصطحب معي بعضهم الى الجمعية الادبية المصرية .

في ذلك الوقت من عام 1967 . كف المتندرون عن التندر وكان الحزن يعم كل مكان . ولم تعد « ترجمة » الشاعر التقليدي عامر بحيري لبعض قصائد صلاح الى الشعر العمودي كما كان قد فعل البحيري ، لم تعد هذه

« النكتة » حادثة مثيرة . وكان مرحلة جديدة فى الشعر المصرى الحديث قد بدأت .

لم يكن صلاح شاعر جماهير رغم أن بعض قصائد ديوانه « الناس فى بلادى » حفظت من قبل طلبة الجامعات عن ظهر قلب ، الا أنه لم يكن « فارس منابر » كالفيتورى مثلا . كذلك لم يكن البياتى فارس منابر رغم قصائده الجماهيرية فالبياتى لم يكن يجيد الالقاء . أما الفيتورى فهو ملك الالقاء . أما صلاح فكان شاعرا وسطا فى الالقاء له طريقته الخاصة . حيث يلقى قصائده بهدوء مع وضوح لمخارج الالفاظ وكان يعتمد على الصحافة فى ايصال صوته الشعرى الى القراء لانه كان يدافع عن النص وكان يرى ان الالقاء وسيلة اعلامية فاذكر أنه قال لى : فى اوروبا الغربية يلقون شعرهم بهدوء من اجل ايضاح النص فى حين أن الشعراء السوفييت مشهورون بالقائهم المسرحى أمام جماهير عريضة ، وأضاف : أنا شخصيا أميل الى القراءة الواضحة الهادئة ، وكان يسمى الانفعال المبالغ فيه « تهريجا مسرحيا » يغطى عيوب النص . ولم أكن أوافقه تمام الموافقة على ذلك . وعندما كنت رئيسا للجنة الشعر فى كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، كنا نقيم أمسيات شعرية وندعو النقاد لمناقشتها وقد شارك باستمرار منهم : محمود الربيعى وصلاح فضل والطاهر أحمد مكى وفتوح أحمد وعلى عشرى زايد ، فى حين كنا نقيم مهرجانا سنويا للشعر يشارك فيه شعراء كلاسيكيون كبار مثل محمود حسن اسماعيل وشعراء الحداثة كعبد الصبور والبياتى والفتيتورى وحجازى وفاروق شوشة وآخرون وكان الفيتورى هو اكثرنا قدرة على جذب الجمهور ويليه حجازى ، فى حين كانت قصيدة صلاح تلقى بهدوء ولكنى كنت ألاحظ أن الجمهور يستمع له بخشوع ولكن دون ضجيج .

منذ قدمت القاهرة عام 1964 وصلاح يستحثنى على ضرورة نشر مجموعتى الشعرية الاولى « يا عنب الخليل » ولكنى كنت مترددا . وحين سنحت الفرصة أصدرت هذه المجموعة فى داخل مجموعة مشتركة مع مهران السيد وحسن توفيق تحت عنوان « الدم فى الحدائق » عن دار الكاتب العربى فى القاهرة وكان صلاح هو مسؤولها الاول ، وأذكر ان صلاح كتب مقدمة طويلة لقصائدى ولكنى اخترت منها بعض السطور ولم يغضب ، فقد كان عز الدين اسماعيل قد كتب مقدمة طويلة للديوان المشترك ولم نشأ ان ننشر مقدمتين معا . وقد علق صلاح اكثر من مرة على المجموعة فى التلفزة والاذاعة وفى الندوات . وحين صدرت مجموعتى « يا عنب الخليل » مستقلة فى بيروت

و « الخروج من البحر الميت » فيما بعد ،تحدث عنهما طويلا فى اذاعة البرنامج الثانى . مع اننى لم أكن فى القاهرة آنذاك .

كان صلاح يتحدث كثيرا عن تأثره بابراهيم ناجي وعلي محمد طه وأبي القاسم الشابى ، كذلك اذكر انه قال لى ان اول اغنية غناها المطرب عبد الحليم حافظ هى قصيدة له ، لا اتذكر اسمها .

وكان صلاح يبوح لنا بمكنونات صدره حول آرائه السياسية الخاصة ولكن يبدو لى أنه كان يكره السياسة والحديث فيها ، وكان صلاح ينتقد نظام عبد الناصر ولكنه لم يكن ضده ، ففى عام 1967 وبعد النكسة ، أعلن المثقفون ولاءهم لعبد الناصر فى يوم دعى « يوم البيعة » ونشرت جريدة الاهرام صفحة خاصة تضمنت قصائد مهداة الى عبد الناصر ومنها قصيدة لصلاح عبد الصبور . كان جيل صلاح يشعرون أنهم « ناصريون » حتى لو كانوا حانقين على أسباب النكسة . فى حين كان جيل الستينات أكثر ابتعادا عن النظام .

فى شهر فبراير 1970 غادرت القاهرة نهائيا الى الاردن حيث الثورة الفلسطينية ، وكان صلاح هو آخر من ودعنى ، حيث أوصلنى بسيارته الى مطار القاهرة وكنت أراسله خلال اقامتى فى الاردن ، الى أن التقينا بعد شهور وتحديدا فى ديسمبر 1970 فى بيروت فى الملتقى الشعرى العربى الاول الذى أقامه النادى الثقافى العربى . شارك صلاح بفعالية كبيرة فى الامسيات الشعرية والنقدية . أما فى الليل فقد كان يهتف لى طالبا النجدة فى « أوتيل نابليون » حيث كنا نقيم . كان يريد الهروب من النقاشات العقيمة أحيانا ، فنخرج نتجول فى المدينة ، تجولت معه كثيرا وكنا لا نتكلم فى الشعر والادب فى أغلب الاحيان . وذات مرة أراد صلاح شراء ربطات عنق من بيروت أعتقد أننى خبير بهذه المسائل،ففاجأته بجهلى فى هذه الامور وتولى أحد أقربائى الذين يسكنون فى مخيم صبرا هذه المهمة الصعبة وكان قريبى معجبا بعبد الناصر وحزينا على رحيله ، ورأيت صلاح فرحا بهذا الاعجاب رغم انه لم يعلق كثيرا . وفى نهاية المهرجان دعانا ــ غسان توينى لعشاء وداعى فى المدرسة الفندقية حضره الشعراء وكنت أجلس أنا وصلاح حول مائدة واحدة ، حين ألقى غسان توينى كلمة مجاملة ترحيبية وفوجىء الشعراء بالكلمة حينئذ مر وقت دون أن يرد أحد من الشعراء على كلمة الترحيب فقلت لصلاح : عليك أنت أن تتولى الرد ولكنه تردد خجلا ثم وافقنى بعد ذلك والقى كلمة الشعراء العرب أكد فيها على الفعل الوجدانى للشعر .

قضينا معا أياما جميلة ولكنه ظل كعادته ساهما وحزينا وعاقلا ومتزنا في سلوكه . وعاد الى القاهرة . ثم زرت القاهرة لآخر مرة في حياتي عام 1972 حيث التقيت به وكان قد أصابه القنوط واليأس من الاوضاع العامة في مصر . ومنذ عام 1972 . لم التق صلاح الى الابد .

في عام 1974 . وعندما كنت مسؤولا عن القسم الثقافي في مجلة فلسطين الثورة في بيروت ، جاءتني مقالات لشعراء وكتاب مصريين وعرب ضد صلاح عبد الصبور « السياسي » . ولم اكن مقتنعا بها فامتنعت عن نشرها وفاء لصلاح وناقشت رئيس التحرير فوافقني على موقفي . لقد ادركت أنهم يحملون صلاح ما هو فوق طاقته ، فهو ليس برجل سياسة وليس متحزبا ولكنه كان موظفا كبيرا في وزارة الثقافة المصرية بحكم سمعته الطيبة وشهرته كشاعر واتزانه كانسان .

ولا أعتقد أن صلاح قد دخل المعترك السياسي في عهد السادات وان بقي في مناصبه الثقافية ذات الطابع السياسي .

وفيما بعد حدثت حادثة قربت وسارعت في موت صلاح وهي حادثة معرض الكتاب العربي والدولي في القاهرة ، فقد كان هناك جناح خاص في المعرض للعدو الاسرائيلي ، وكان صلاح مديرا للهيئة العامة للكتاب ومديرالمعرض وبالتالي حمل مسؤولية اقامة « الجناح الاسرائيلي » مع ان هذا كان قرار السادات . البعض قال : كان يجب أن يرفض ويستقيل من منصبه احتجاجا والبعض قال : ومن منا سيجرؤ على الرفض لو كان في مكان صلاح . والبعض راح يصفي حسابات قديمة : شعرية وسياسية وثقافية والبعض راح يصطاد في الماء العكر ، مع أنهم ما زالوا حتى الآن من دعائم ثقافة كامب ديفيد . على أي حال سبق لي أن طلبت معلومات دقيقة حول موقف صلاح من اصدقائه ومن معارفه ، لكن الجميع امتنع عن الاجابة لاسباب كثيرة .

نعم لقد قربت هذه الحادثة وسارعت من موت صلاح فجأة وهو في التاسعة والاربعين من عمره ، والسبب أنه كان شخصا لبقا وحساسا ولانه كان يحب الفلسطينيين وفجأة يتهم ، أليس هو صاحب قصيدة « ثلاث صور من غزه » ؟!!!

فى شهر اوت – 1981 كنت فى صوفيا ، عاصمة بلغاريا وكان يسكن قبالتى الدكتور فيصل شوشه ، شقيق صديقى الشاعر فاروق شوشة ، حين دق الباب على فى منتصف الليل ليقول لى : مات صديقك صلاح واعلنت اذاعة القاهرة الخبر قبل قليل .

بعد ذلك أخبرنى أمل دنقل فى رسالة له عن بعض تفاصيل موت صلاح والتقيت فيما بعد مع عبد المعطى حجازى فى تونس وكانت الرواية واحدة حول موت صلاح المفجع :

كان أحمد عبد المعطى حجازى قد أقام حفلا فى بيته فى مصر الجديدة فى ليلة 14 أوت 1981 بمناسبة عيد ميلاد ابنته وكان المدعوون هم : صلاح وجابر عصفور وامل دنقل وبهجت عثمان . أخرج أمل دنقل شريطا مسجلا عليه قصيدة بالعامية المصرية لعبد الرحمن الابنودى ضد السادات وجرى نقاش حول سياسة السادات ووصل النقاش الى اتهام صلاح بالدفاع عن السادات رغم ان صلاح انتقد السادات وعبد الناصر معا . وقد تأثر صلاح كثيرا فطلب الخروج فى الهواء الطلق ، ثم صرخ صلاح : اننى بحاجة الى الذهاب الى المستشفى فورا وأخذوه الى المستشفى ، لكنه فارق الحياة بعد نصف ساعة من وصوله الى المستشفى فى آخر الليل . بطبيعة الحال : هناك تفاصيل كثيرة مؤلمة لا مجال لذكرها فهى فى النهاية تفاصيل لنتيجة سبقتها عواملها ، لكن الحادثه سارعت – قطعا – فى رحيله المبكر .

وكما مات صلاح حزينا ، فقد عاش حزينا ولكنه كان يؤمن بالخبز والحرية .

عز الدين المناصره

من مكتبة الشعر التونسى الحديث

الحمائل والحرف الأخضر ..	**الغربى المسلمى**
برنامج الوردة	**يوسف رزوقه**
تعجلت الفرح	**علي دب**
هروبا من الهروب	**الصادق شرف**

المنفى ...

شعر: عبدالله مالك القاسمي

تَعِبَتْ يَدَايَ مِنَ الكَلامِ
وَفِي دمي لم تهدإِ الكلماتُ
يَا صَمْتَ المَدَى
هل ذاك صوتي والصدى ؟
غيمٌ على غيمٍ
ولا مطرُ

* * *

وَداعـاً أيّها الطيرُ المسافرُ في الغناءِ
ولا تسلْ : من جَزَّ أجنحتي ومن .. ؟
سفرٌ يناديني
ولا سفـرُ
أنا خلف الحدود مكبّل بالإنتظارْ
أمل أحاصرهُ فَيَفْلِتُ مِن يدي
أملٌ / حصارْ
أملٌ / غبارْ

* * *

يا سيّدي :
إنّي أخاف على القصيدة أن تموت
يا سيّدي ، وأخاف من زمن يفوتْ
لا تقتلوني
إنّني في غيهب المنفى أموتْ

* * *

مدن حديد
في كل يوم تقتل الشّعراء
تمشي خلفهم حتّى ...
تترجمهم إلى موتٍ جديدْ

* * *

مُدُنٌ تَضيقُ تَضيقْ
تُوزّعني على ألمي
تُوَحّدني
فَيَنْطَبِقُ الطّرِيقُ عَلَى الطّرِيقْ

عبد الله مالك القاسمي

الحبّ ومنزلته في ديوان "أغاني الحياة" لأبي القاسم الشابي

بقلم : عبد الحميد الشابي

- 3 - (*)

4) فيض الحب :

يمكننا الآن وقد رافقنا الشابي عبر قصة حبه ، ان نستنتج ان رؤيته للحب لم تعد مقصورة على الثنائية المعهودة تنتهي بالمحبين الى برعاجية لا يزولون عنها ماديا ولا معنويا . ولئن انطلق من نفس المصدر ـ المرأة « **الانسان** » ـ فسوف يسمو بحبها سموا يدفعه نحو آفاق وابعاد ، يتوغل فيها غير هائب لانه قد شام بعد في نهاية الرحلة الطويلة غنما وفيرا للانسان والانسانية .

ورأينا ان الحب لم يكن عند الشابي وليد صدفة تتفق لاثنين وتنتهي بوصلهما فكريا وجسميا .

بل هو أنبل عنصرا وأخطر منزلة ، لانه ينبوع عطاء ومصدر ضروري لحياة الشاعر وابداعه الفني :

لولاه لما عذبت في الكون مصادره ومـوارده
ولمـا فاضت بالشعر الحي مشاعره وقصائـده

ولا غرابة ان يكون معين خير وعطاء ، فهو منطلق من الشعور مصدر الالهام والوحي والغيرية ومن القلب ذلك « الشباب الخالد النضر » العابد للجمال دوما ، لا من العقل مصدر الجفاف و « الحسابية » الانانية .

ومن أجل ذلك أحب الشابي الشعر وأجله ، وكيف لا يحب « فلذة من فؤاده » ، لا يتصور حياته بدونه :

انت يا شعـر قصـة عن حيـاتي انت يا شعر صورة من وجـودي

(*) انظر « الفكر » ع : 5 ـ س : 30 ـ فيفري 1985 .

وهو محتاج اليه احتياجه للحياة ، والحب ، فيه يعبر عنهما .

وبهذا يكون قد توفر لدى الشابي ثلاثة عناصر أساسية في الحياة : **الحب ، والشعور ، والشعر** . وهي التي سيتفجر من ينابيعها عطاء سخي يغمر أغلب مواقفه وأغراضه . وما أبعدنا عمن يصبح الحب عندهم ثنائية مغلقة ، ففردية فادحة تأخذ ولا تعطي .

وسيغمر هذا العطاء ـ عطاء الحب ـ جانبي الحياة : كظرف وكمظروف ، احبهما الشاعر وحببهما : اما الجانب الاول فهو متصل :

(1) **بالحيـــاة** : في أوسع معانيها .

ولعل عنوان ديوانه « أغاني الحياة » لأفصح دليل على اهتمامه بها . وكثيرا ما تعلق بعض الدارسين بما تضمنه الديوان من مواقف الحزن ، فحكموا على الشابي بالتشاؤمية وكراهيته للحياة ، ووقفوا عند هذا الحد . ولئن قال :

« على الحيــاة انا ابكي لشقوتهــا فمن اذا مت يبكيها ويبكيني ؟ »

فلانه ما كان يبكيها لو لم يكن يحبها .

ولعلنا نقتنع عندما نكتفي ببعض الشواهد الاخرى للدلالة على انه لم يستأثر بحب الحياة لنفسه ، بل ما فتىء يحث الانسان على حبها ، ويدلي له ببراهين تدعوه الى حبها حياة كريمة حقا :

هـو الكـون حـي يحـب الحيـاة ويحتقـر الميـت مهمـا كـبـر

ومن أفصح العبر التي نستخلصها من المدرسة الكونية ، ومن أقوى بواعث تلك المحبة ، الطموح وهو كامن فينا ، وما علينا الا ان نريد :

« اذا طمحـت للحيـاة النفـوس فـلا بـد ان يستجيب القـدر »

(2) **بالمـــوت** :

قد تثقل المآسي ، وتنسد السبل ، وتقبح الحياة ، وهو ما يدعو الشاعر الى التوق الى الموت يحبه باعتباره افضل من الحياة كما عادت :

جـف سحـر الحيـاة ، يـا قلبـي البـاكـي
فـهـيـا نـجـرب المـوت هـيـا !

ومن بين الاسباب التى تزهده فى الحياة ، وترغبه فى الموت ، ما استولى على قلوب الناس من الشرور وما خيم عليهم من اللؤم : فكم عاملوا احسانه بالسوء ، أو ليس هذا مما يدعوه الى التوق الى الانعتاق من العالم الـدون والسمو الى صافى المناهل ؟ :

وخبا لهيب الكون فى قلبى الذى قد عاش مثل الشعلة الحمراء
فأنا السعيد باننى متحول عن عالم الآثام والبغضاء

وكثيرا ما دعته هذه النظرة الترغيبية فى الموت ، باعتباره محررا ، الى ان يحببه الى من عجز عن الحياة ، لانه سيجد فيه من « الحياة » الخالدة ما لم يتوفر له فى هذه الحياة الدنيا :

الى الموت ان حاصرتك الخطوب وسدت عليك سبيل السلام
هو الموت طيف الخلود الجميل ونصف الحياة الذى لا ينوح

(3) **بالطبيعـــة :**

اذا كانت الحياة هى الاطار الوجودى عند الشابى ، فان الطبيعة ستكون الاطار الارضى الذى أحبه لصلته به فى كل آن . وكان بينهما من وثيق الوشائج ما جعله يتجاوز مظهرها الخارجى متطلعا الى استجلاء أسرار جمالها وخفايا معانيها .

احبها ويحبها لانها :

(أ) صورة من الجمال المطلق الخالد :

صورة من الفن المروع اعجزت وحي القريض وريشة الرسام

(ب) معين الوحى والالهام :

بيت من السحر الجميل مشيد للحب والاحلام والالهام

(ج) رمز الطهر والمحبة والسعادة :

كان الربيع الحى روحا حالما غض الشباب معطر الجلباب
والكون من طهر الحياة كانما هو معبد والغاب كالمحراب

(د) حياة مثالية متجددة منزهة عن أباطيل الحياة وترهاتها :

فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش أو رسموا
واجعل حياتك دوحا مزهرا نضرا فى عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم

(هـ) ملجا المكلوم يجد فيها مرهما لنفسه :

اننى ذاهب الى الغاب يا شعبى   لأقضى الحياة وحدى بيأس
سوف أتلو على الطيور أناشيدى   وأفضى لها باشواق نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى   ان فجر النفوس يقظة حس

(و) رمز لأفضل أنواع التعايش السلمى :

يا أيها الشادى المغرد ها هنا   ثملا بغبطة قلبه المسرور
غرد ففى قلبى اليك مودة   لكن مودة طائر مأسور

(4) بالوطــن :

وهو البيئة الصغيرة التى نشأ فيها الشاعر ، فعاش مرها وحلوها ، غرس حبه فى قلبه ونما وكان حب من ضحى فى سبيله سلفا بحياته وقدم روحه قربانا له :

انا يا تونس الجميلة فى لج الهوى قد سبحت أى سباحه
شرعتى حبك العميق وانى قد تذوقت مره وقراحه
لست انصاع للواحى ولو مت وقامت على شبابى المناحه
لا أبالى وان اريقت دمائى فدماء العشاق دوما مباحه

اما الجانب الثانى الذى غمره الشابى بحبه ، فيتصل بالمحتويات البشرية للميادين السابقة ، وسنقدمها منتقلين من العام الى الخاص :

(I) الانســان :

أحبه الشابى محبة عميقة ، محبة الرفيق « لرفيقه » والأخ « لابن أمه » . ومن اليسير على قارىء « أغانى الحياة » ان يلاحظ ان الشاعر ما انفك اخذا بيده ، ينير له السبل لتخليصه من ظلام الحياة وضرائها . وما كان ليهنأ له بال قبل بلوغ هدفه ذلك . وكيف يهنأ وهو الشاعر الشفوق يعيش احزان أخيه الانسان بقلبه . وكم كان يؤلمه ما يعانيه الانسان من أنواع الاذى المادى والوجودى وما يعترضه من العراقيل فى عدوة الفاشل وراء ترهات الحياة .

الا ان شفقته تلك العميقة ، وما انطوت عليه من الاسى ، ما كانت لتحول دون استنهاض الانسان ودعوته الى الحياة الحق ، وما هو عن ذاك بقاصر اذا أراد :

خلقت طليقا كطيف النسيم   وحرا كنور الضحى في سماه
فما لك ترضي بذل القيود   وتحني لمن كبلوك الجباه

(2) **البائسون :**

هم كثيرون ، ولكن الناس عنهم غافلون ، ما عدا أمثال الشابى ، فقد دعاه حبه اياهم الى ان يقدمهم فى قصائده احياء يتالمون ، يشاطرهم آلامهم ويحاول جاهدا ايلام من خيمت على قلوبهم الانانية علهم يعودون الى انسانيتهم فيهبون للخير :

كم بقلب الظلام من انة تهفو بغصات صبية ايتام
ونشيج مضرم من فتاة ، ابهظتها قوارع الايام
ونواح يفيض من قلب أم فجعت فى وحيدها البسام
فطم الموت طفلها وهو نور فى دجاها من قبل عهد الفطام
وأنين من معدم ذى سقام ، عضه الدهر بالخطوب الجسام

(3) **الأسرة :**

(أ) **الأب :** وقد كان أباه ، وصديقه ومعلمه المعانى الانسانية السامية ، بلغ حبه إياه حد كراهية الحياة بفقده وكم تمنى الالتحاق به فى عالم الموتى ! :

يا موت قد مزقت صدرى وقصمت بالارزاء ظهرى
يا موت نفسى ملت الدنيا فهل لم يأت دوري ؟

(ب) **الأم والاخوة :**

غمرهم الشابى بحبه العميق ، ورعايته المتواصلة ، وقد بلغت أوجها عند موت والده حتى انه آثرهم على « حياته الشعرية » وهى أقدس ما يمكن ان يحلم به فى هذه الدنيا :

وأود أن أحيا بفكرة شاعر فأرى الوجود يضيق عن احلامى
لكننى لا أستطيع فان لى اما يصد حنانها أوهامى
وصغار اخوان يرون سلامهم فى الكائنات معلقا بسلامى

وقد ولد هذا الحب للاسرة والتضحية فى سبيل رعايتها بأثمن حلم له فى الحياة ، ان تغنى الشابى محبا مقدسا بينبوعين أساسين من ينابيع الحياة :

(ب ١) : **الأمومة :** وكيف لا يحبها وهى رمز العطاء الصادق والطهر الملائكى :

الأم تلثـم طفلهـا وتضمـه حـرم سماوى الجمال مقـدس
تتـاله الافكـار وهو جوارهـا وتعود طاهـرة هنـاك الانفس
حرم الحياة بطهرهـا وحنانهـا هل فوقه حرم أجل وأقدس ؟

ـ وهى رمز التضحية الصادقة ، ومصدر الوفاء الذى لا تأتى عليه تصاريف الزمـان :

... كـل نسـوك ولـم يعـودوا يـذكـرونك فى الحيـاة
الا فـؤادا ظـل يخفـق فـى الـوجـود الـى لـقـاك
هـو قـلـب أمـك السكـرى بـأحـزان الـوجـود

(ب 2) : **الـطـفـولـة :**

وهى منطلق الحياة واقوى داع الى محبتها ، وهى عهد الاحلام التى لا تعكر صفوها الاكدار :

للـه مـا احـلى الطفـولة انهـا حلـم الحيـاة !
عهـد كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبـات

(4) **الـشـعـب :**

ان مجرد الاستعراض لبعض عناوين قصائد « أغانى الحياة » مثل : المجد ، سر النهوض ـ سر مع الدهر ـ الى الطاغية ـ الى طغاة العالم ـ ارادة الحياة ـ الى الشعر الخ ... لدليل على ما خصصه الشابى للشعب ، هذه الاسرة الاخرى التى ما فتىء آخذا بيدها سعيا لتحريرها من حياة الدون . ولم يزل عن مواصلة سعيه فى تلك السبيل رغم ما لقيه من الاساءة لانه تيقن بكل جوارحه : ان

« اذا الشعب يوما أراد الحيـاة فلا بد أن يستجيـب القـدر »

وهو معنى خالد خلود الشعوب فى كل اصقاع الدنيا .

وقد اكتسى حبه للشعب أشكالا مختلفة : وأولها عطاء سخى وتضحيـة بروحه ، رغم ما يلاقيه من أنواع الاذى .

وقد تبلور مظهر من ذلك الحب فى محاولة اقناع الشعب وهو تلك « القوة العبقرية » بما له من فضائل وطاقات طائلة لما تستثمر . وقـد ورد ذلك فى لهجة اللائم المحب :

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس ؟ أين الطموح والاحلام ؟
ان يـم الحيـاة يـدوي حواليك ، فاين المغـامر المقـدام ؟!

ويصمد الشابي ، وما كانت الخيبات لتلويه عن متابعة اهدافه من أجـل الشعب ، لانه اعتمد فى حبه اياه التفاؤل سبيلا ، فاتخذ منه محركا للشعب وسيفا مشرعا على رؤوس أعدائه :

يقولون صـوت المستذلين خـافت   وسمع طغاة الارض أطرش أصخم
وفى صيحة الشعب المسخر زعزع   تخـر لهـا شم العروش وتهـدم

وكم يحلو للشاعر المحب ان « يشيم » فيعيش سلفا ذلك الغـد المشـرق لشعبـه :

الا ان احـلام البـلاد دفـيـنـة   تجمجـم فى أعماقهـا ما تجمجـم
ولكن سياتى بعـد لاى نشورهـا   وينبثـق اليـوم الـذى يتـرنـم

(5) **خـلاصـة :**

فهذه اذن نماذج من حب الشابى ، ما كانت تتصور « حياته » ولا « أغانيه » بدونه . فقد انطلق محدودا ثم سما مطلق الابعاد والافاق لينتشر نعمة تغمر كل شيء .

فالحياة ، وان كان بعض صفحاتها بؤس ، محببـة تدعـوك الى العيش ، والطبيعة وان « أظلها المساء الحزين » أحيانا محببة تسحرك بجمال صبحهـا و « فجرها الجديد » ، والناس محببون ، فهم ضعفاء بالفعـل ولكنهـم اقويـاء بالقوة ، فكل يبشر « بالصباح الجديد » ، ولكن السر لكل ذلك ، يكمن فى أمور ثلاثة ، لا يكسبها الا الافذاذ : **الحياة ـ الحب ـ التفاؤل** .

فمن أحب الحياة أرادها ، ومن أرادها كان متفائلا ومن تفاءل عـاد ينبـوع خير الجميع :

ورن نشيد الحيـاة المقـدس فى هيكـل حـالم قد سحـر
واعلن فى الكون : ان الطموح لهيب الحيـاة وروح الظفـر
اذا طمحت للحياة النفوس فـلا بـد ان يستجيـب القـدر

عبد الحميـد الشـابى

فيض الحب الكبير

شعر: رجب بن مهيني

أيها الطفل الجميل
كن جميلا
إنني أهواك صبحا
ثم اهواك أصيلا
أيها الحب الذي يملأ نفسي
فإذا بي لست ألقى
لك في الحبّ بديلا
إنني أخشى عليك الحبّ أن يرديك
في الناس قتيلا
ولأنني عشت أهواك
سأنسى أنني أهواك
حتى لا تعيش العمر في الناس عليلا
رُبّ حبّ قتل المحبوب
اني أكبتّ الحب قليلا
أنت يا «قيس» حبيبي
نبرات منك إذ تأتي فتنسيني همومي
زبرات عذبة تشفي الغليلا
حين تجري .. حين تمشي .. إنني
أهواك
حبا يصل العشق لدىّ المستحيلا
أنت لا تدري
بأنّ الحب لا يلقى صعودا أو نزولا
أنت حلم في حياتي
وربيع ينثر الأزهار تبرا في طريقي
وسماء تعشق الانوار
بحر دافق يدفع بالموج الى عمق
صباباتي
ولا ألقى بحبي لك في الدنيا بديلا
ألهذا يخصب العمر ؟!
ومن دونك قفر
ألهذا ومضة القلب ستبقى
نجمة في الصدر لا تخشى أفولا؟

ألهـذا .. أيّها الطفل خُلقنـا
في قداسـات الهـوى ؟
اذ نسكب العمر
فيحلو سكبنا الأيّام عشقا سلسبيلا
ألهذا يلتقي الحاضر والماضي معا ؟
فـإذا بي
أستعيد العمر والأمس حبيبي
وكـأن الأمس بـاق ... لن يزولا
ألهـذا ..
نلتقي في سـاحة الحبّ ؟
فـألفيك محبّا
ليس يحتـاج هوانـا يـا حبيبي
مرّة منّا دليـلا
ألهذا لست أنسـاك لحين ؟
أنت شيء ليس ينسى
إنني قد عشت هذا العمر يا ابني
ثم ها إني ، أنـا ثـانية
أحيـاه
جيلا
ثم جيلا

رجـب بن مهنـي

في الأعـداد القـادمة تقـرؤون

الأصـالة	محمـد مـزالي
الرابطة القلمية مدرسة التجديد الادبي	د. عيسـى النـاعوري
تاريخ السقاية بصفاقس	محمـد الشعبـوني
المنفـى (شعر)	يـوسف رزوقـه
حـديث النفـس (شعر)	حمـادى البـاجي

من شعر غرسيا لوركا

تعريب: خليفه محمد التليسي

① اغنية الخريف

اليوم اشعر
ان للنجوم
فى قلبى
رعشة غامضة
ولكن طريقى ضائعة
فى روح الضباب
إن النور
يحطم اجنحتى
وآلام حرفى
تغسل ذكرياتها
فى نبع الأفكار
كل الورود بيضاء
بيضاء بلون شقائى ....
لم تكن الورود بيضاء
بسبب الثلوج التى غمرتها
فقبل ان يظهر قوس قزح
كان الثلج ينحدر فوق روحي
وثلج النفس
قطراته من القبلات
والمشاهد الغارقة
فى الظل
او فى نور من يفكر فيها
الثلج يتساقط عن الورود
ولكن ثلج النفس
يبقى
ولا يجففه سوى ظفر الأيام
ايذوب الثلج حين نلقى المنية ؟
ام تكون هناك ثلوج اخرى
وورود اخرى أكمل صورة وأبهى ؟
هل يخيم علينا السلام
كما بشر بذلك المسيح ؟
ام ليس هناك من حل ممكن للمعضلة؟
اذا كان الحب يخدعنا
فمن يبعث الروح فى حياتنا ؟
واذا كان الشفق يغرق فى المعرفة
الحقيقية للخير الذى يحتمل ان لا
يكون له وجود
والشر الذى يدق بالقرب منا ؟
اذا انطفأ الأمل
وانبعثت بابل من جديد

فاية شعلة تضيء طريق الأرض ؟
اذا كانت زرقة السماء وهمـا فما
مصير البراءة ؟
وماذا يكون القلب
ان لم تكن للحب سهام ؟
اذا كان الموت هو الموت صدقا وحقا
ما مصير الشعراء ؟
والأشياء الخافية التي لم يعد يذكرها
احـد ؟
آه يا شمس الأمل
ايتها المياه الصافية ، والقمر الوليد،
يا قلوب الأطفال ، ويا ارواح الصخر
القـاسيه ،
اليوم أشعر أن للنجوم رعشة غامضة
فى قلبي
وكل الورود بيضاء بلون شقائي

② وبعـــد
المتاهـات
التى خلقها الزمن
ستبـدد
ولا تبقى سوى الصحراء
والقلـب
مصدر الرغبات
سيتـلاشى
ولا تبقـى
سوى الصحراء
وخداع الفجر
سيزول
والقبلات ستمحي
ولا تبقـى
سوى الصحراء
الصحراء المتوجة بكثبانها

غارسيـا لوركـا

سَيّدَتي .. والألوان ..

شعر: عبد الله السيد شرف

مازالت سيدتي تغتسلُ ..
في حمامات الألوان ،
تلهو برمال الشاطىء ..

– رغم الريح –

تفكّ ضفائرها المجدولة من رحم الأرض وتبسطها..
فتعود حرابا زاهية الألوان .
وتعودُ دهانا ، وشراكا
تلبسني الألـوان ..
– لماذا تضحكُ تلك الأبقار الخادعةُ ؟
فتلمزني سيدتي
وتسوّي الثوب
تلملمُ صدرا وهاجا
أتلعثمُ في إخفاقي
والسيدة الحسناء بركن الأمس
تسوّي حاجتها
والقنديل الشاحبُ في كفيّها
أتداخلُ ، أصرخُ

من يخرجني من هذا الإفك المجنون ؟

* * *

ها أنت تشاغلك الألوان
ورأسك بين الفكين
ويتسع الخرق ولا راقع
إلا أمواجك يا سيدتي
فلماذا تتبدد أنهارك ،
تشرب أشجارك من نهر موبوء
وتجادلني
أين سواعدك الواعدة المعطاء ؟
أهمس في خجل ، مكتئبا :
كنا نتسابق
بالشوق تشاغلنا بالألوان ، ولما عدنا
كان النخاس يتاجر في أذرعتي ،
في أحشائي ، ويحاصرني ،
لكني ،
رغم الألوان الصارخة – الإفك .. ورغم .. ورغمَ ..
رأيتُ دمائي حين انسابتْ ،
كانت تحتضن الرمل ،
وترسمُ أطفالاً ،
تشحذ حرفا وسيوفا ،
تخترق اليأس الملعون .

عبد الله السيد شرف
(القاهرة)

عِنْدَمَا يَتَّسِعُ الحُبّ ..

قصة : الهادي عمران

مكسورة خواطرى كقلب أميـرك .. ومجروحة كلماتى كقلب أميـرك .. ومحاصرة نظـراتى كحصار أميـرك .. وممـزقة مفرداتى كقلب أميـرك .. ومخنوقة عصافيرى كصوت أميرك ..

وكيف يبتسم القلب وقد عذبه واضناه الفراق ؟ وكيف تزهر الخواطر وتثمر وقد حرموا اميرها الماء والهواء والشمس ؟ وكيف تستقيم الكلمـات والجمـل وشاعرها محاصر مخنوق يطارده البعد وتمزقه الجـراحات ؟ وهـل تـزهـر الرياحين والنبع الذى تسقى منه مالح ؟ وهل تغنى العصافير فى ارض جدباء قاحلة تحت المطر والعواطف والرياح ؟ فماذا ساكتب اليك يا قمرى ؟ مـاذا سأقول لقمري وهالته ألغت جميع اللغات ؟ :

ـ قمري لا يصدق لغة العـواطف ولا لغة العـواصف ولا لغة البـرق ولا نشيـد المطـر !

ماذا سأكتب ولغتى مضحكـة وأحاسيسي هـراء وخواطـرى سخافـات وبكائى تغريد ونايى خنجر وعبيرى لا يشم ؟ ماذا ساكتب وكلماتى احترقت امام ابتسامات اميرتى ؟ ماذا ترانى اقول وفى داخل سمفونية بـاكية حـزينة وشرايين قلبى أوتار تعزف اغنية فريدة من لحن قرط اميرتى اللوزى الاحمر الراقص على صحن خدها الرخامى ؟ ماذا ترانى اقول اليها والمحزمة الحمراء تشد عينى تلفنى كما تلف خصرها الملائكى الاهيف ؟

واحر قلبى ! قصيدى اضحكها ليلة ! عزائى انه لم يبكها على الاقل. واحرقتى! احاسيسى نحوها تراءت لها كاذبة ومبالغ فيها ! عزائى الوحيد أن اميرتى الصغيرة قرأت شعرى ولم تلق به فى سلة المهملات ..!

واأسفى! إن عينى أحيانا تفضحاننى! ولسانى يسبقنى فيترجم لها أحاسيس قلبى رغم محاولاتى العديدة لكبتها واخفائها عنها وهى نقطة ضعفى ، نعم هى نقطة ضعف فى ،،، ماذا ترانى أقول وعقلى محشو بالخواطر ، ونفسى تزخر بالاحاسيس ، والمخاض صعب ، ودواتى تطفح بالحزن ؟ أى ارض حبستها عنى ؟ أى رياح ابعدتنى عنها ، ابعدتك عنى ؟ يا زمانا شهدت فيه يدانا ، تشابكت فيه اصابعنا ، رقصت لنا الدنيا فى لحظات هى عندنا أحلى اللحظات ! ذوبتنا،،ذبنا فى غربة نشوانين كعصفورين التقيا وحيدين فى جزيرة نائية من جزر الاحلام بعد فراق طويل ، وزغردت لنا الكائنات نشوى فنسينا ما يجرى وسيشنقنا مثل نجمتين ، وسيحاصرنا حصار « حاضن النهدين » لنهدين يتوقان الى الحرية !!!

وافترقنا ولا أحد فى شوارع المدينة يبكى علينا ، يبكى معنا ، وهاجمنا الصمت المرعب والمخيف من كل صوب وكدنا نختنق فى ثوان،وانى لأشعر ان البعد سيقطعنا الى فلتين ، وسيقتلنا مثل شهيدين ، وسيصلبنا مثل قديسين، وسيشنقنا مثل نجمتين ، وسيحاصرنا حصار « حاضن النهدين » لنهدين يتوقان الى الحريه !!!

أميرتى لم نر النور الا لحظات كانت أجمل اللحظات واحلاها ! حملتك فيها على ظهرى ، حملتك فيها أغنية عذبة ، انشودة رائعة ، احلاما وردية ، ونفثت فيك كل روحى ، وحملتك ما لا تطيقين ، وحملتنى ما لا أطيق،وكنت صبورة ، كان صدرك رحبا يتسع للعالم بأسره ، وكانت عيناك زادى الوحيد ، وكنت تشعرين بافراط حبى وكلفى بك ، وتعرفت على نقاط ضعفى فكنت تميسين فى دلال ، وما دريت أنك كنت تقتليننى عرقا عرقا ، واعجبك دورك فكنت تمعنين فى تعذيبى ، وغلبتنى ، وانتصرت على ، وحلالك الانتصار ، وكسبت الرهان فى الجولة الاولى ، وكان لك ما كان ، واعتبرت نفسى فائزا ما دمت أنت طرفا فى الرهان، وبدأت تقفزين من حين الى آخر الى مخيلتى، فكنت توقظيننى من نومى ، وتصعدين درج ذاكرتى فى اختيال وذلال ، واسرح معك ، مع قامتك الهيفاء ، مع عينيك الذابلتين ، واغيب فى ظلمة شعرك ، وبدأ الذهول يشدنى، واصبحت أميل الى الوحدة ، ولفنى القلق ، واحتوانى الحزن ، واصبحت أتعمد اللقاء بك ، واحاول أن أجد اعذارا ولو واهية للحديث اليك ، وكثرت غياباتى

عن المنزل ، وتضاءل حديثى مع زوجتى ومع اطفالى وحتى مع الاصدقاء ، وبت لا يحلو لى حديث ولا جلوس الا معك ، فقد كنت أعيشك شعرا ونثرا ، رسائل وأوراقا ،،،

وتفطنت زوجتى لذلك فعابت علي تصرفاتى ، وحاولت اقناعها بأن حبيبتى تبقى حبيبتى أحملها بين أضلعى بسمة ودمعة ، حلما وحقيقة ، صحوا ومطرا ، ولا أحد فوق الارض ينازعنى حبها ، وحاولت زوجتى فى عملية يائسة حرق أوراقى ، رسائلى اليها فلم تفلح ،،، وحاول الاصدقاء صرفها عن مخيلتى فلم ينجحوا وكانوا كلما عيروها امامى ثرت فى وجوههم وازددت تعلقا بها حتى بت مريضا بهواها ، وكنت كلما ضاق صدرى أسرع الى القلم والى القرطاس فابثهما أشجانى وأشواقى، وكانت أميرتى تعي ما أشعر به نحوها، لعلها كانت تبادلنى نفس الشعور ، وكنت احيانا اشعر بالخوف بل كنت اشك فى تصرفاتها ربما كانت تجاملنى وتتظاهر بحبى رفقا بقلبى فأعود وألعن ظنى ،،، وكثرت خلواتى بها فى النادى ، كنت أغازلها فى شوق ، وكانت بنظراتها المنكسرة وبنبرات صورتها العذب وبحركاتها البريئة لوحة زيتية متكاملة يصعب على اى فنان رسمها ومحاكاتها واصبحت اسهر الليالى الطوال خارج المنزل بعيدا عن عائلتى ، وقد لا أعود الى بيتى الا فى ساعة متأخرة من الليل ، واشتد القلق بزوجتى وكثرت الظنون بها ، ولامتنى مرارا :

ــ «لم تعد تهتم باطفالك يا رجل ، لا تنس ان لك بيتا وزوجة وبنين وان لهم الحق عليك ، أفق الى نفسك وعد الى رشدك» .

وكنت اجيبها بكل لطف :

ــ « أحبكم كما أحب أميرتى ... » .

وأذكر أنها حاولت مرة تكسير الجدار ، جدار صمتى وذهولى الدائمين ، ولما ادركت ان الحالة بدأت تسوء ، وان المدينة كلها اصبحت تلومنى على شدة تعلقى بها تأبطت ذراع أميرتى وشددت على كتفها الناعم باصابعى وخرجت بها الى الشارع وكأننى اقول للجميع :

ــ « انظروا ها هى أميرتى التى كنتم تلومونني فيها ... » .

كان رأسها على صدرى وكنا نسير مختالين فى شوارع المدينة ، كانت كغجرية فارسية ، وكان شعرها على كتفي كحقل قمح تحت المطر ، وكانت اصابعها تضغط على أصابعى فى جذل ، وخصلات شعرها ترقص مع هبات الريح كطرحة العروس فأحس ان العالم صار فى قبضتى .

كنت استمع الى دقات قلبها كما كانت تستمع الى دقات قلبى ، وتصدرنا أما مالمقاهى على مرآى ومسمع من المدينة كلها وجها لوجه مع العذال ، وعطرنا ساحات المدينة وشوارعها وأزقتها بنفحاتنا ، وتهاطل الصحافيون علينا ، والتقطوا صورا عديدة كانت اشرطة تلفزية بديعة ، ووجدت الجرائد والمجلات ما تغطى به صحائفها ، وكانت الندوات واللقاءات ، وأصبحت اميرتى نجمة بل قمرا ينير ليالى المدينة بعد أن توجت ، لم يكن تاجها ذهبا ولا ماسا فهى ليست فى حاجة الى تتويج من هذا النوع ، بل كان اكليلها تصفيق الجمهور لها وشهاداتهم فيها انها فعلا اميرة المدينة فى كل شىء ،،

وبعدها اعتذرت زوجتى عن تصرفاتها معى بعد ان رأت ما رأت من اميرتى واصبحت تجمع لى بقايا صورها وتلم لى شتات رسائلها لتحتفظ بها للذكرى،، وأدرك الحساد الحقيقة ، حقيقة اميرتى وتعرفوا على جمالها وعلى ما تتحلى به من صفات عالية فاعتذروا لى واعتذروا لها ، واخذ سكان المدينة يتسابقون للفوز بها ، يتسابقون الى ناديها علهم يحضون بابتسامة منها ، واصبح النادى يعج بالناس شبابا واطفالا وكهولا كلهم يتمنون ودها والتقرب اليها حتى يملأوا عيونهم بحسنها ويستمتعوا بحديثها ويتسلموا منها المشعل ، وكانت اللوحات الفنية ، وكان الشعر ، وكانت القصة ، وكانت البحوث ، وكان الغناء والطرب، وكان المسرح ، وكانت المهرجانات ، وصفقت المدينة لحبيبتى طويلا وكنت ارقص لتصفيقهم ، وكانت زوجتى تكاد تلتهمها بعينيها اعجابا بها ، وارتمت بين احضانى باكية بكاء الفرح هذه المرة لا بكاء الحزن والخوف ، وكنت أكاد أفيض غبطة ...

فهل عرفتم ـ أحبتى ـ قمرى ، ملاكى الصغير ، أميرتى الحسناء ؟ انها كليوبترا صلابة واختيالا ، وبلقيس جمالا وثراء ، ونفرتيتى أنفة وكبرياء وعائشة عفافا وطهرا ، وعليسة ذكاء وفطنة ...

فكيف أواجه فراقها وحدى ؟ وكيف أتخلى عنها لمن لا يصون الحب ولا يرعى الود والاخلاص ؟ وكيف اجمع بقاياها وحدى ؟ وألثم قصائدها وحدى ؟ وكيف اقاوم سيف الزمان وحدى ؟ وكيف اهدم عش الحب بيدى ؟ وكيف انسلخ عن ذكرياتى ؟ وهل تستقيم الحياة لصفصافة اجتثت جذورها ؟ كنت اتساءل ، وكنت ابكى لقسوة الاسئلة على قلبى ، وكنت احيانا تجدنى مع قول الشاعر : « يس الفيل » حينما رأى حبيبته شرعت تهدم عش الذكريات :

لا تهدميه فعمرى ساكن فيه وفرحة القلب تحيا فى نواحيه
لاتهدميه فايام الهوى عبرت بنا اليه وغنت فى لياليه

★ ★ ★

هذى الحجارة كم حنت لموعدنا! وكم احاطت بمهد الحب تحميه!
وكم تـراءت على مرآتها صـور للحسن يخضر في أبهى معانيه!

* * *

كنا وكانت زهور الحب في يدنا تنمو ونحن بها نختال فى تيـه
هنا جلسنا ، هنا كانت اريكتنا تـذوب شـوقاً لما كنا نغنيـه

* * *

هنا ، هنا ، وهنا يا الف اغنية قولوا لخادم هذا البيت يبقيـه

وانتم ـ يا أحبتى ـ هل تعرفون دموع المساجد ليالى الاعياد ؟ وهل تعرفون دموع الثريات ؟ دموع الرياحين ، دموع العذارى ، دموع اليتامى ؟ لو كنتم تعرفون كل ذلك لصرختم مثلى ، مثل المجانين : « كل الوجوه بعد وجه أميرتى الصغيرة نحاس وحجر ... » .

أحاول ان لا اصدق أن الصدأ بدا يدب الى سيفى ، وان اميرتى الساحرة ستبعدنى عنها ، وان سيف الزمان لا يقهر ، وان الجبين المسافر فى بحار عينى سيبحر ... احاول ان اخدع نفسى أن اوهمها باننى باق على الركح ثابتا ، ان اكذب عليها ، أن أجد اعذارا ولو واهية لاهرب من نفسى ، من الحقيقة المرة فلا استطيع ؟! لان الحقيقة تظل حقيقة تنهشنى ، تأكل قلبى ، تلهب اعصابى كما تلهب السياط ظهر المقهور ، فاصرخ فى جنون : لا ! لن أهرب عن وجه اميرتى مهما حاول الحساد أن يبعدونى عنها ان يوهمونى بأنها غانية والغوانى يغرهن الثناء ، وأنهن لا يرعين عهدا ، ولا يتقيدن بميثاق ، نعم كنت أصرخ واقول : اميرتى ليست كبقية النساء انها من معدن نادر الوجود ، ولن اتخلى عنها ، وسأوصى ابنائى (بعد موتى) ا نينقشوا اسمها على قبرى بأحرف من نور ...

فهل ادركتم ـ أحبتى ـ أميرتى الحسناء التى علقتها شابا،وعايشتها زمنا ، وحاولت طلاقها كهلا فلم افلح ؟ لقد ولدت فى كبدى ، وتغذت من قلبى ، ونمت فى أضلعى ، وأينعت فى مدينتى ...

سامح الله حبيبتى « اللجنة الثقافية » ما أكثر نفعها ! وما الذ وصالها ! ولكن طلباتها عديدة وباهظة الثمن بالنسبة لى وحدى ...

الهـادى عمـران
(حمـام الغـزاز)

وجيب الأمطار

شعر: عبدالقادر شروده

حنيني – لَوْ عَلِمْتِ – إِلَيْكِ مَا انْقَطَعَا
كَنَهْرٍ مِنْ مَدَاهُ انْصَبَّ مَفْتُونًا إِلَى الآفَاقْ ،
وَكَمْ أَشْتَاقْ !
إِلَى الإِبْحَارِ فِي عَيْنَيْكِ مُنْدَفِعًا ،
مَعَ الأَمْوَاجِ وَالأَشْوَاقْ ،
أَيَا خَضْرَاءُ ، إِنِّي كُلَّمَا الْتَمَعَا
ضِيَاءُ الفَجْرِ أَوْ سَطَعَا
أُعَانِقُ صُبْحَكِ المَوْعُودَ قَبْلَ تَطَلُّعِ العُشَّاقْ ،

* * *

أَظَلَّ أُصَارِعُ الأَمْطَارَ فِي قَلْبِي
وَأَحْبِسُ رَوْعَةَ الإِشْرَاقْ ،
إِلَى زَمَنِ الرُّؤَى وَالظَّمِّي وَالخِصْبِ ،
وَكَمْ يَزْدَادُ بِي حُبِّي !
وَيَأْبَى خَاطِرِي لِلشِّعْرِ أَنْ يَنْسَاقْ ،
أَخَافُ عَلَيْكِ – يَا خَضْرَاءُ – مِنْ مَطَرِي
فَقَدْ يَهْمِي عَلَى جَفْنَيْكِ وَالأَحْدَاقْ .

* * *

أُحِبُّكِ فِي انْهِمَارِ الغَيْثِ عَبْرَ الرِّيفِ مِدْرَارَا
كَمَلْحَمَةٍ تُطِلُّ عَلَيَّ فِي الآفَاقْ ،

تُخَوِّضُ الكَوْنَ ،، أَوْدِيَةً وَأَنْهَارَا ،
تُغَذِّي ثَوْرَةَ الإِنْسَانِ فِي الأَعْمَاقْ ،
وَتَنْفَجِرُ السَّوَاقِي فِي دَمِي ،، تُطْفِي بِهَا نَارَا ،
ذَكَتْ فِي الرِّيفِ قَبْلَ تَجَذُّرِ الأَعْرَاقْ
وَقَبْلَ تَطَاوُلِ الأَذْنَابِ ، قَبْلَ تَصَاغُرِ الأَعْنَاقْ .

★ ★ ★

أُحِبُّكِ هَكَذَا ، تَسْبِيحَةً لِلرَّعْدِ فِي الأَرْيَافِ تَنْفَجِرُ
فَتَنْهَمِرُ
لَهَا الأَمْطَارُ وَالأَشْوَاقْ
وَتَرْنُو أَعْيُنُ الأَحْبَابِ ،، تَنْتَظِرُ
صَبَاحاً يَنْتَهِي بِالحُزْنِ وَالإِطْرَاقْ ،،
صَبَاحاً رُبَّمَا يَأْتِي عَلَى الأَرْيَافْ
أَوْ يَأْتِي لَهَا بِطَلاَئِعِ العُشَّاقْ ،
بِرُمْحٍ كَانَ فِي « بَدْرٍ »
جَرِيئاً ، يَطْعَنُ الأَصْنَامَ فِي الأَحْدَاقْ .

★ ★ ★

أُحِبُّكِ هَكَذَا ، فِي الرِّيفِ ، أَعْرَى مِنْ بَوَادِيهِ
وَمِنْ عَذْرَاءَ غَنَّتْ عَبْرَ وَادِيهِ
سُلاَلاَتٍ وَأَكْوِبَةً ، طَوَتْهَا ظُلْمَةُ الأَزْمَانْ ،
وَغَنَّتْ فَارِسَ المَيْدَانْ ،،
مَضَى مَا عَادَ ، كَمْ طَالَتْ مَنَافِيهِ !
وَظَلَّ يُعَمِّرُ الوِجْدَانْ
وَيَأْتِي فِي الرُّؤَى ، وَاللَّيْلُ يُخْفِيهِ ،

عظيماً مثلما يتعاظم الإيمانْ

★ ★ ★

ومَنْ للريفِ ، غيرُ هواكِ يا خضراءُ يُحْييهِ ؟
بما فيه ومَنْ فيهِ ،،
فتنشأُ ريحهُ من ظُلمةِ النسيانْ
تهبّ على بني الأريافِ بالعصيانْ ،

★ ★ ★

نُحبكِ ، هكذا ، واللهِ ، لا غدرٌ ، فنخفيهِ
ولا وحيٌ بما في الغيبِ نُوحيهِ
ولكنْ ساءنا أنْ يرجحَ الميزانْ ،
وإذْ ناديْتنا بالأمسِ : فديْنا
هُنا في الريفِ طالتْ قامةُ الأزمانْ
فلا « باريسُ » في أنوارها لاحتْ ،
ولا رفعتْ أباطرةً إلى إيوانْ ،
ولكنْ عطّرَ الدنيا ،
عبيرُ شهيدِنا وسحابةُ البارودِ ، يا خضراءُ .

★ ★ ★

وإذْ أحزنْتِني ،، سأتابعُ الإملاءْ
بصوتٍ حافلٍ بالبرقِ والرعدِ
بكلّ حرارةِ البيداءْ
لعلّ الريفَ عبرَ عواصفِ الأشعارِ ، والأنواءْ
سيحملُ أُمتي يوماً على الإصغاءْ .

عبد القادر شروده

العقلية العلمية عند الشابي من خلال مذكراته

بقلم : د. عبد القادر بشتة

ـ 2 ـ (*)

2 ايمان الشابي ببعض العناصر المكونة للعقلية العلمية

وهذه العناصر هي :

أ) وجوب دحض السذاجة .

ب) وجوب النقد البناء وعدم التقليد .

ا) وجوب دحض السذاجة :

والشابي يؤكد على هذا في عدة مناسبات . ففي المذكرة الخاصة بيوم 5 جانفي 1930 يقول : « أمسية جميلة هي التي قضيتها هذا النهار ، جميلة بوجه أخص لانها كانت في نزهة خلوية الى البلفدير ، جميلة بوجه أخص لانها لم تصرف في تلك الاحاديث **السخيفة المبتذلة** ، وانما صرفت في حوار ان لم يكن فنيا كله ، فان فيه كثيرا من طابع الفن وميسمه (11) .

وفي المذكرة المتعلقة بيوم 7 جانفي 1930 يقول متحدثا عن عزلته الفكرية : « لكنني حينما تحدثت عن الحقيقة لم أتحدث عنها بتلك الاحاديث **التافهة** التي الفوا ان يسمعوها عن **جداتهم** في سكون الليل ، وهم بين تهويم النوم ومناجاة الاحلام » (12) .

ويمكن أن نقول : إن الشابي يتهكم من السذاجة الفكرية في المذكرة الخاصة بيوم 8 جانفي 1930 والعامل هو الذي يمثل هنا ذلك الفكر الساذج هذا زيادة على كونه مركزا للثقل النوعي (13) .

(*) انظر « الفكر » ع : 6 ، س : 30 ، مارس 1985 .

11) **المذكرات :** ص 23 .

12) **المذكرات :** ص 32 .

13) **المذكرات :** ص 35 ـ 36 ـ 37 .

ويمكن أن نقول أيضا : إنه يتهكم من سذاجة طلبة جامع الزيتونة الذين **لا يعبؤون بدروس السيد لاموت حول العقل الباطن والعقل الواعي وذلك في** مذكرة يوم 28 جانفي 1930 (14) .

وأخيرا يمكن أن نقول : إنه يتهكم من الفكر الساذج عندما يقول في مذكرة 5 فيفري 1930 ما يلي : « **فدخلنا في مواضيع أخرى كلها نقد وشدة . ومن بينها مسالة الزوايا و « البندير » فقد تشددنا في هاته المسألة وهجمنا عليها هجوما عنيفا »** (15) .

ولنلاحظ اولا أن الشابي لم يستعمل أبدا كلمة السذاجة على كل حال في النصوص التي وقع ذكرها وانما استعملنا هذا اللفظ لا للدلالة على تلك الحالة الفكرية التي يريد الشابي دحضها ومحاربتها ونحن نقصد بكلمة السذاجة تلك الحالة الفكرية التي تسبق المعرفة والتي تكون في تناقض معها ، نقصد اذن بهذا اللفظ الماقبمعرفة (16) ويقابل هذه الكلمة في الفرنسية لفظا : (La Naïveté) و (L'opinion) والشابي يتحدث عن السخافة والابتذال والتفاهة الخ ... وكلها الفاظ تقربنا من لفظ السذاجة الذي يدل في اعتقادنا اكثر على المعنى الذي نريد ابرازه عند الشابي . ومهما يكن من أمر فمضمون النصوص التي ذكرناها يدل على السذاجة كما حددناها : ففي النص الاول هناك تناقض بين الاحاديث السخيفة المبتذلة والمعرفة المتمثلة هنا في المعرفة الادبية وفي النص الثاني الاحاديث التافهة تعني احاديث الجدات الجاهلات التي تعني السذاجة بعينها والتي تتناقض مع احاديث اهل المعرفة ويمكن ان نقول ان ذلك العامل الثقيل يمثل الجهل وعدم المعرفة وفي النص الاخير لم يكتب الشابي لا كلمة السذاجة ولا لفظ الابتذال الخ ... وانما حدثنا عن الزوايا والبندير وقال انها محل نقد شديد من طرفه وطرف اصدقائه . وكأني بالشابي هنا يتحدث عن السذاجة اي عن تلك الحالة التي تسبق المعرفة الناضجة وتتناقض معها وانه يدحض هذه السذاجة ويدافع عن المعرفة الناضجة .

ولنلاحظ ثانيا ان الكاتب يبرز هذا الموقف عند حديثه عن الاعمال الفكرية بصفة عامة (وخاصة الادب) والاعمال العلمية بصفة خاصة ونقصد

---

14) **المذكرات** : ص 69 .
15) **المذكرات** : ص 75 .
16) **الماقبمعرفة** كلمة منحوتة من **ما قبل المعرفة** .

هنا بالاعمال العلميـة اعمال فرويد حول التحليل النفسي وبـالتحديد حول العقل الباطن والعقل الواعي . وقد أشرنا الى هذا عند ذكرنا للنصوص التى يدحض فيها الكاتب الفكر الساذج .

وفي الواقع وضع الشابي هنا اصبعه على خاصية هامة جدا من خاصيات العقلية العلمية ذلك ان الفكـر العلمي بصفة عامة يتناقض مع الفكر الساذج او ما سميناه في مناسبـة أخرى **بماقبعلم** (17) لناخـذ امثلة سريعة لتدعيم هذه الفكرة . فالفكر الساذج يقـول لنا ان الارض هـي مركز الكون وانهـا سطحية والفكر السـاذج يقـول لنا ان النجوم صغيره جـدا . امـا العلـم وبالتحديد العلم الفلكـي فقد اثبت لنا ان الشمس هـي مركز الكـون وان الارض بوضاوية (Elliptique) والعلم اثبت ان هناك نجوم كبيـرة جدا . وتوالى العلماء لاثبات كل هذه الحقائق ولابعادنا عن الفكـر الساذج وهنا نذكر بالخصوص كوبرنيك وكبلير ونيوتن (18) .

ثم دخلـت كل هذه المعلومات شيئا فشيئا وبنسب مختلفة فـي الفكـر الساذج واصبح كثير من الناس يؤمنون بها ويفكرون من خلالهـا . غيـر ان هذه السذاجة الجديدة ان صح هذا التعبير لم يخطر لها على بال ان الزمـن لا يسير بنفس السرعة على سطح الارض وعلى سطح القمر وان له ارتباطـا شديدا بالمكان الخ ... وجاء اينشتاين ليثبت كل هذا وليدخل الفكر العلمي في تناقض مع السذاجة الجديدة .

ومهما يكن من أمر فباشلار وهو من أبرز المختصين في تحديـد العقليـة العلمية يحدد الفكر العلمي كفكر مناقض أساسا للفكر الساذج . واننا لنجـد التجديد هنا وهناك في مؤلفات باشلار وعلى كـل حـال فهو معروف بهـذه الفكـرة (19) .

وخلاصة القول هي ان الشابي يؤمن بفكر يقول لا للسذاجة وهذا لعمرى جانب هام جدا من جوانب الفكر العلمي بل لعله الجانب الاساسي والشابي

---

17) **الفلسفة والعلم** : كتاب سيصدر عن الدار التونسية للنشر .

18) راجع هنا على سبيل المثال Etudes Newtoniennes Koyré - Gallimard.

19) راجع مثلا **تكوين الفكر العلمـي** La Formation de l'Esprit *Scientifique* حيث يقول باشلار :

«La Science dans son besoin d'achèvement comme dans son principe s'oppose absolument à l'opinion.»
Recueil de textes philosophiques, F IV , STD, 1973.

يؤمن ايضا كما سنرى بفكر يقول لا للافكار والمعارف السائدة المتداولة وسنرى ان الكاتب يضبط هنا مرة اخرى خاصية هامة من خاصيات العقلية العلمية . لنصل الى هذا الباب بالذات .

ب : وجوب النقد البناء وعدم التقليد :

يدافع الشابي وذلك في المذكرة الخاصة بيوم 5 جانفي 1930 عن الفكر الحر الخلاق الذي همه الخلق لا المدح والاطراء والجوائز الخ ... ويتهجم على الفكر المقلد . وهو يقول مثلا في نفس المذكرة : « والتماس هاته الحقيقة لا يكلفنا عناء البحث . فان اكبر الشخصيات في عالم الادب والفنون انما هي تلك الرؤوس المفكرة التي تعتز بما لها من مواهب ، وبما عندها من شعور والتي تشعر ان لها **كيانا مستقلا** لا يمكن ان يندمج في سواه ، وان لها عزة لا ينبغي ان تهان ، في حين ان احقرها هي تلك التي **يضعف شعورها بنفسها** وبما لها من عزة وكرامة فتزج بنفسها في سبيل المهانة والذل و **التقليد** ولا تشق لنفسها سبيلا بكرا للمجد والحياة » ومن الواضح ان الشابي هنا مع فكر غير مقلد ، مع فكر مستقل يشق لنفسه طريقا بكرا ، وفي كلمة واحدة انه مع فكر خلاق يخرج عن نطاق المعارف المتداولة والانماط المعروفة .

وهذا الفكر الذي يدافع عنه الشابي لا بد ان يكون ناقدا ، لا بد ان يتحلى بالنقد اذ يمكن ان نقول ان عدم التقليد والنقد توأمان فالنقد هو الطريق المؤدية الى الخلق والابداع وعدم التقليد ومن الطبيعي اذن ان ينوه الشابي بالنقد وبالفكر الناقد وهذا ما قام به فعلا في مذكرة 21 جانفي 1930 (21) اذ يقول مثلا : « كانه يحسب سامحه الله ان انتقاده علي ربما يثير حفيظتي ويحرك في نفسي عوامل الغضب . مع انني لست من هاته الطائفة التي لا تفهم من النقد الا عداء وسبابا . ولا ترفع قلمها الا لغاية سافلة وغرض دني لست والحمد لله من هاته الطائفة . ولكنني ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وممن يسرون بكل انتقاد لا تكون غايته غير الحقيقة ، ولا مصدره غير الاخلاص ....» ومن الواضح هنا ان الشابي مع النقد البناء المخلص .

وخلاصة القول هي ان الشابي مع فكر خلاق غير مقلد وناقد ، مع فكر ينسلخ عن المعرفة المتداولة لخلق اشياء اخرى وطرقا اخرى ومعارف اخرى .

---

20) **المذكرات : صفحة 27 .**

ولنلاحظ ان الشابي يبدى ايمانه بهذا الضرب من الفكر وهو يتحدث عن الادب ، فالمعارف التي يقصدها هي اذن المعارف الادبية والطرق التي تشغل باله هي الطرق الادبية .

لكن هذا ينطبق ايضا على الفكر العلمي . فالفكر العلمي الخلاق هو ذلك الفكر الذى ينقد ولا يقلد الفكر العلمي المتداول ونحن هنا فى الواقع فى مستوى البديهيات . فلو لم يقم نيوتن بنقد الفيزياء التى كانت متداولة فى عصره مثل فيزياء ديكارت وقاليلي (Galillée) لما وجد العلم النيوتوني وبالتحديد الميكانيكا النيوتونية التى تعتمد على اسس منهجية مغايرة تماما لتلك التى يرتكز عليها العلم الديكارتي . فالعلم النيوتوني أو ما سمى بالفيزياء الكلاسيكية هو ناتج فى الواقع عن فكر خرج من بودقة التقليد الى مجال الخلق ويمكن ان نقول نفس الشىء بالنسبة الى العلم الاينشتايني الذى هو بدوره نتيجة حتمية لعدم تقليد نيوتن من طرف صاحب فيزياء النسبية الذى كان له موقف نقدى ازاء العلم النيوتوني كل هذه الامور سهلة الفهم والمقام لا يسمح على كل حال بتفسيرها (22) .

ومهما يكن من امر فباشلار احد المختصين فى تحديد العقلية العلمية يشاطرنا الرأى اذ نراه فى مناسبات عديدة يحدد الفكر العلمي بكونه فكرا ناقدا للعلوم السابقة والمتداولة وهو فكر خلاق يقول لا لكل هذه العلوم وهو يقول مثلا فى فلسفة اللا : « ومع ذلك فمن الضرورى ان نصل الى استنتاج كهذا ان كان دأبنا تحديد فلسفة المعرفة العلمية باعتبارها فلسفة مفتوحة ، ووعى عقل يؤسس نفسه عند اشتغاله بالمجهول ، وبحثه فى [صميم] الواقع عما يناقض المعارف السابقة وجب قبل كل شىء أن نعى ان التجربة الجديدة تقول لا للتجربة القديمة اذ بدون ذلك لا يتعلق الامر ، بالطبع ، بتجربة جديدة ولكن هذه اللا ليست أبدا نهائية بالنسبة الى عقل يعرف مجادلة (Dialectiser) مبادئه ... » (23) . والتجربة الجديدة تعنى العلم الجديد ، أما التجربة القديمة فتعنى العلم القديم.

---

21) **المذكرات : صفحة 59 .**

22) **اطروحتنا : الجزء الثالث .**

23) **المجلة التونسية للدراسات الفلسفية عدد 1 صفحة 153 .**

وخلاصة القول هي ان الشابي يؤمن بفكر يقول لا للفكر السائد وللمعارف السائدة ويقول لا للسذاجة أي للفكر غير العارف وهذا لعمري ما ينطبق تماما على تحديد باشلار للفكر العلمي وهذا لعمري ما ينطبق فعلا على الفكر العلمي كما يبرزه تاريخ العلوم والشابي لم يطلع على تاريخ العلوم بصفة جدية ولم يطلع على باشلار وهو لم يحاول تحديد العقلية العلمية بصفة صريحة . لكنه ضبط رغم ذلك خاصيتين أساسيتين للعقلية العلمية .

★ ★ ★

الخاتمة :

هكذا يمكن اذن أن نتحدث ولو بصفة مجازية ان صح هذا التعبير عن العقلية العلمية عند الشابي .

ونحن نريد في هذا المقام القيام بدعوة ملحة الى اعتبار الشابي من هذه الزاوية بالذات . ونحن نعتقد ان هناك على الاقل مستويين اثنين آخرين في هذا الصدد .

أ ـ اعتبار المفاهيم الشابية التي يمكن ان يكون لها معنى علمي والتساؤل اذا ما كانت فعلا لهذه المفاهيم خلفيات علمية ونحن نقصد مثلا هنا مفاهيم الزمن (الدهر) والحياة والطبيعة الخ ...

ب ـ دراسة هيكلية قصائد الشابي والتثبت من درجة شدة الروابط المنطقية فيها فهيكلية « النبي المجهول » مثلا هيكلية تكاد تكون رياضية ـ هل يمكن أن نقول نفس الشيء بالنسبة الى القصائد الاخرى ؟ (24) .

ويمكن للباحث ان يصل الى بعض النتائج كما يمكن ان لا يصل الى شيء . ومهما يكن من امر فالنتيجة في كل الحالات ايجابية .

د. عبد القادر بشته

---

24) **اغاني الحياة** ـ الدار التونسية للنشر ـ طبعة 1966 صفحة 149 .

نُقّـــادُ الشِّعْـــر

شعر : الهادي الملّولي

لم يبق شعر غابــر في منجــم (هل غادر الشعراء من متردمِ ؟)
قالوا ؛ وقـولهم ادعاء بـاطــل وبمدعي الأقوال ألـف مسلّمِ :
شاخ اللّسـانُ ، وشاخ شعرٌ لاكـه من أهل عاد في الزمان وجُرْهُمِ
ماذا يفيـد الشّعـر في عصر الفضا ء ، وفيه من وطأ السمـاء بمنسم
الشعـر أصبح في الزمـان خـرافـة فالعصـر عصـر حضارة وتقـدم
وحضـارة الإنسـان في شهـواتـه من مسكن ، أو ملبس ، أو مطعم
واذا اشتهى ملك السيادة نالهـا بسلاح جيش – في البلاد – عرمرم
هـذا هو العيش الكريم بعصـرنـا لا شعر فيه بغير وزن الـدرهم

* * *

من قولهم نطقت جميع سواكنـي فأجبت شعرا بالسـواكن والفـمِ
في قولكم خطلٌ ومهما كان مـن أمر فان الشعـر ليس بمجْـرمِ
الأقـدمـون وأنتُم اليـوم أستويـ ـتم في الحماقة والمتـاه المبهم
تــاه الأوائل في السفاسف مثلمـا تــاه الأواخر في احتقار القيَّمِ

* * *

الشعـر معنى في النفوس معظــم يحويه في الإنسـان كل معظـم
والشعر في الحكمـاء منبع حكمـة والشعر في العلمـاء خَيْرُ مَعلّم
للشعر في روض الجمـال شمائـل تسبي ، وتسكن قلب كل متيّم
والشعر خمر العاشقين إذا صبـــا فيهم ، والا فهو جرعة علقم
والشعـر عرش للملوك إذا ارتضى عنهم ، والا فهـو قاع جهنـم
والشعر للأبطال سيف لم يعـــد للغمد ، إلا وهو يقطر بـالـدم

من غـابر الأزمـان كان الشعر فيِ ... أهـل البصائـر كان أكبرَ ملهمِ

* * *

الشعـر والإنسـان بينهما عـلى ... طـول الزمان وشيجةٌ لم تُفصم
يتجـددان مع الوجود ككل غصـ ... ـن مائـد ، أو طائـر مترنـم
واليوم قالوا عنـه : إنه مات فـيِ ... درك المشيب ، فلا لزومَ لمأتم
وأتوا بغيـره من كـلام شـارد ... عن كل ـ أنواع الكلام ـ مغمغم
لا ينتمي في اللفظ للفصحى كما ... لا يفهم المعنى به ، كالأعجمي
حُرٌّ مِنَ الأوزان عبد للالـى ... طربوا لأنغام الغراب الأسحـم
ودعـوه شعرا ! وهو لم يشعر به ... من غيرهم أحد ، ولم يترنـم
ان غصت فيه لفهمٍ ما يحويـه من ... معنى ، وجدته مثلٍ كهف مظلم
ودعوه :« بالشعبيِّ » ان يفهم لهـم ... ودعوه : « بالرمزيِّ » ان لم يفهم

* * *

يا ربة الشعر استغـاث بك امرؤ ... من فرطما به ، فاستجيبي وارحمي !
مدي يديـك لشعر آلهـة غـدا ... بالأرض يشكو ، في جوى وتأزم
عزلوه عن عرش بنته جـدوده ... من معدن الحجر الكريم مصمّم
عاثوا بما يحويه من قيم ولـم ... يصلـوا لقمتـه بأعـلى سلّـم

* * *

للشعـر في العـَرب الكرام حميـةٌ ... قـدسية تحميـه مهمـا يظلـمِ
وسلالـة العرب الكـرام لهـا على ... رغم الزمـان بقيـة لم تهـزمِ
فلسانهـا العـربي أفضل منبـر ... نزل البيان بـه لأفضل مسلـمِ
والشعـر في كتب البيـان مخلـد ... كالنجم في كبـد السمـا لم يهرم
فرنين وزنه في السماع ، كمعزف ... وحنين وقعه في النفوس ، كبلسم
وعمـوده الفقـري دوما قـائـم ... لا ينحني أبدا ، ولم يتحطـم
ورسـالة الشعـراء سـائرة على ... درب القوافي ـ للبلاغة تنتمي
تهـدي بنور الحق كـل مكابـر ... ضل الطريق ، إلى الطريق الأقوم

الهادي الملولي

لحظة خاطفة

إبداع : بنت البحر

أسرع إليك قبل ان يحلوا
ويعلموا خلوتي بك !
أسرع إليك
يا لشوق الازهار للمس يديك
يا شوق الاطفال قبلة العبد وهبته
يا شوقي الدائم المهزوم .
أسرع إليك
قبل ان يحلوا
فيكسروا صفاء وحدتي معك
ويمرقوا مناجاتي لك
ويبددوا عالمي العامر بك .

* * *

يا حبيبي المسافر البعيد
اسرع إليك .
ويركض قلمي الى عالمك .
وفي عالمك الذي ينفتح لي باهرا ،
عظيما نورانيا ،
أريح رأسي المتعب على ركبتيك .

* * *

فانفتح لي يا عالم المجهول
واقبل صلواتي وادعيتي وطقوسي !
لالقاك يا حبيبا نائيا
واسرع الى أحضانك الشفافة
النورانية
تطهرني وتغسل آثامي
وتحويني ،
فاذا أنت في ،
واذا انا فيك .
اهيم في ملكوتك .
فاستعيد الاحساس
واستعيد رؤية الأنبياء .

* * *

فافتح ذراعي النور
يا أبي !
إلي قبل ان يحلوا !
افتح ابوابك لي !
لأستريح لحظات بين ذراعيك .
وأعود ،
كنورس ابيض صغير
استعاد جناحيه
لمواجهة العاصفة ،
أعود ، أقدر على
« الحياة » من جديد .

في « الأفواه »
مقدرة على التقاط أكثر اللحظات سرية

بقلم : عمران القيسي

فى أوائل الستينات وفى مدينة تقع جنوبى العراق حيث ينام التاريخ السومرى تحت حاضر البؤس وبيوت الفقراء كان عبد الرحمان مجيد الربيعى يصر على مقارعة مثقفى بغداد ويبرهن لهم فى كل حركة من حركاته انه يستطيع ان يتخطى معارفهم المستمدة من الكتب الطرية التى تصلهم تباعا من عواصم الدنيا .

كان يكتب فى البداية شعرا منثورا ويطلع اسمه بشكل مفاجىء فى مجلة (شعر) أو مجلة (الآداب) فيما كانت اسماء مثقفى المدينة تنطرح فى زاوية بريد القراء .

(*) (الافواه) قصص لعبد الرحمان مجيد الربيعى ـ منشورات دار الآداب ـ بيروت ـ 1979 .

ومن مدينة الناصرية الى معهد الفنون الجميلة ثم الى الاكاديمية الفنية حيث لا يرغب عبد الرحمان الربيعي ان يصير مدرسا لمادة الرسم وحيث لا يحلم ان يصير رساما ترى هل يريد هذا الجنوبي المتحرك ان يختزل الزمن دفعة واحدة؟

كانت الصفحات الثقافية في جرائد بغداد منابر للعراك ، وكانت المعارك تمتد لتشمل حتى المقاهي ، وها هي الاسماء الآن ما بين منسي وموظف ومهاجر تطل من كوة الذاكرة ، فالكل يريد ان يحقق ذاته عبر طريق ما ، جماعة المرفأ الذين قرروا في ظهيرة صيف عراقي خانق ان يتمردوا على اقانيم شعر الشعارات ويقدموا في قصائدهم ما هو ابعد من اللعنة الجارحة ، وجماعة المجددين يلصقون حدوات الخيول والخرق البالية وسط اكداس من اللون الصلف لانهم يريدون ان يعلنوا للعالم شيئا آخر يولد من بين أصابع الجيل الجديد ، ثم البيان التأملي لشاكر حسن آل سعيد يفتح الباب على مصراعيه أمام ضياع جيل برمته .

فحين تسقط السقوف دفعة واحدة لم يعد أمام العراة غير ان يلتحفوا بالتراب المنبثق من بين الاظافر ، وها هو عبد الرحمان مجيد الربيعي يطل فجأة عبر « السيف والسفينة » .

تلك المجموعة القصصية الاولى لم تكن تخص عبد الرحمان الربيعي بقدر ما كانت تخص ابناء الجيل كلهم ، لقد ابتدأت الكتابات النقدية عنها وهي لم تزل بعد ملزمة أولى غير مصححة في مطبعة شبه اثرية تقع في سوق الرواقين (السراي) ببغداد .

ترى ما الذي يخلق الحماسة المفاجئة وسط هؤلاء المنكسرين ؟

صحيح ان عبد الرحمان الربيعي ليس أول من كتب القصة وليس آخرهم ، ولكن الا يستحق مثل هذه الحماسة من يتجرأ على طباعة حياتنا واحلامنا التي كانت تذهب بعيدا نحو مدن تنام على شاطىء البحر ، والسنة بحرية يقفز فوق صخورها السمك ؟

منذ تلك المجموعة بدأ عبد الرحمان يلح كثيرا في عالم القصة .. وكان يتردد اسمه في أغلب المجلات والصحف التي تصدر في العالم العربي ..

كانت القصة القصيرة منذ البداية هاجس الربيعي الوحيد ، وكان يخترق من خلالها تلك الامنية المعلقة في رقبة كل عراقي ان يسافر وان يموت بعيدا ولكن شريطة ان يعيش في موته يوما جنائزيا حافلا .

والقصة القصيرة ليست هى الحياة بل هى اللحظة المتوثبة المثيرة فى الحياة انها نزعة الفرد الاقليمية الكافية على وجه وعاء الذاكرة دائما ، وهى تصلح دون شك كمحضر ضبط للنوازع الانسانية فى أدق اللحظات وأكثرها صميمية .

اما الرواية فهى عملية تتبع لحياة مرتهنة فى زمن ما .. وهكذا يجىء الفارق عند الربيعى بين قصصه القصيرة ورواياته .

اننا لو أردنا ان نستعيد الآن ابطال القصص القصيرة عند هذا الكاتب لوجدناها تمر فى السلم التصاعدى التالى :

1. (السيف والسفينة) وهى مجموعته القصصية الاولى التى صدرت ببغداد عام 1966 ، حيث ابطال تلك القصص يحملون هوياتهم العراقية الصرف ويتحركون من خلال نزعة داخلية لتخطى المأساة الشخصية المتمثلة بالاستلاب والسلبية .

2. « الظل فى الرأس » وهى المجموعة القصصية الثانية التى صدرت عام 1968 حيث تبدو الآثار العربية واضحة على الابطال .. خاصة ظل هزيمة حزيران .. ورغم ذلك فان ضجرهم وتمردهم سيبقى ضمن اطار فكرى تجريدى بعيد عن ملامسة الفعل اليومى المعاش .

3. « وجوه من رحلة التعب » هنا يبدأ البطل عند الربيعى يرتدى ثياب السندباد الذاهب دائما عبر طريق الوحشة والحالم باسماع عذاباته للناس كلهم .. انهم يسمون تلك الطريق فى العراق طريق « الصد مارد » حيث الذاهب مفقود والعائد مولود .

النقلة فى شخصية البطل هنا تبدأ عبر ذلك المنحنى الذى ترسمه الغربة المكانية لا الزمانية للبطل ، فهو رغم ان جسده يعيش عالما بعيدا عن مسقط رأسه الا ان حواسه واحلامه ستبقى مرتبطة بالوطن .

والامر ذاته بالنسبة لابطال قصص « المواسم الاخرى » الصادرة عام 1970 أو بالنسبة لابطال قصص «عيون فى الحلم» ، و «ذاكرة المدينة» ، و «الخيول» .

اما بالنسبة للرواية فان وفاء الربيعي لتاريخه الشخصي ولتاريخ أبناء جيله جعله يدون تلك الموضوعات المثيرة التي تتحدث عن شخصية هذا الذي خرج عن طريق المقامرة الفكرية ليضع نفسه في طوق المغامرة الحقيقية التي ليس فيها سوى الخسارة الاكيدة .

والآن أي انموذج يقدم لنا الربيعي في مجموعته القصصية (الافواه) ؟ قبل كل شيء ، لا بد وان تطالعنا الهوية الخاصة جدا للاشخاص الذين يعيشون أحلامهم في وطن يتوسلون فيه عملية ترويض الذاكرة على احتواء التاريخ فالشخص وان كان يحمل بصماته العراقية في أغلب القصص الا انه يبدو من جهة أخرى وكأنه الصوت الذي يريد ان يجعل من كل الدنيا مدينة من مدن العراق .. انه حتى حين يتحدث الى امرأة اخرى .. في مدينة اخرى ، وفي عالم آخر ، فانه يتحدث معها بلغة هواجسه التاريخية الصافية ، حيث يتقدم مثل ذلك الغجري الذي يقطع شرايينه ليؤكد حبه للمرأة التي يحب .

لكن أهمية قصص (الافواه) هذه المرة لا تجيء عبر عملية الغوص في الذات الخاصة للبطل ، بل عبر عملية صياغة القصة ذاتها .. ان تقنية بارعة للغاية تطل من خلال هذا الاسلوب الذي يتقدم به الربيعي ربما ليؤكد حقيقة جديدة قوامها ان اكثر المواضيع ذاتية واقليمية يمكن تناولها بأكثر الاساليب حداثة في الفن القصصي .

إن البطل « الجزائري » مثلا في قصة (هموم عربية) لا يتقدم عند عبد الرحمان الا عبر الثقافة والتقائه بذلك البطل الآخر القادم من بلاد العراق لكي يتمثل هموم العرب الآخرين .. مع ذلك فإن الخطوط المتشابكة الكثيرة ما بين الاشخاص رغم اختلاف هوياتهم تطرح أمامنا مسألة بالغة الاهمية تتعلق بمدى القدرة على الغوص في خصوصيات عالم لم نولد فيه .

إن عبد الرحمان الربيعي لم يتجاوز في هذه المجموعة القصصية الشكل المألوف في القصة العربية القصيرة فحسب بل صعد الى مستوى بالغ الاهمية حيث يطرح للمرة الاولى مسالة التقنية البارعة فيصياغة هذا الفن الذي لم يزل يعيش اسير تجريبية مطاطية منحته أقصى القدرة على التحول والاختزال .

عمران القيسي
— بيروت —

قراءات سريعة

◆ **مـا آن الأوان :**

مسرحية للكاتب الاسترالى لويس إيسون نقلها الى العربية عبد الله فاضل فارع ونشرتها الدار العربية للكتاب بتاريخ 1984 .

ولويس إيسون كاتب مسرحى معروف بتصويره الواقعى ولغته العارية وأسلوبه التهكمى الامر الذى جعل الكثيرين ينهالون عليه بانتقاداتهم وشتائمهم والمسرحية تقدم لنا صورة أمينة للواقع الاجتماعى والاخلاقى والسياسى الاسترالى بشتى شواغله ومشاكله وتناقضاته .

◆ **المجنون وليلى : الحب الجنونى :**

صدر عن منشورات « سندباد Sindbad » لبيار برنار بباريس كتابان ممتازان باللغة الفرنسية :

الأول لأندري ميكال المستشرق المشهور والاستاذ بالكوليج دي رنس والمحافظ العام للمكتبة الوطنية الفرنسية . مع برسي كامب بعنوان : **« المجنون وليلى : الحب الجنونى »** يشرح لأول مرة فى اللغة الفرنسية شخصية تكاد تكون خرافية بل قل خرافية فى كثير من أمهات الكتب يشرحها من كل جوانبها التاريخية والادبية والقبلية والوجدانية والشاعرية وحتى الماورائية فى تمهل ورصانة وثبات وتجرد وموضوعية علمية .

◆ **الاسلام فى زمن العالم :**

كما صدر عن منشورات « سندباد : Sindbad » كتاب لجاك بارك الذى لا يحتاج الى التعريف بعنوان : **« الاسلام فى زمن العالم »** وهو عبارة عن احدى عشرة مقالة فى محاولة صادقة لابراز الوجه الصحيح الجوهرى للاسلام فى مواجهته للتاريخ ولتحديات قوى العصر وسر

ثبوته أمس وغدا فى شموليته الكونية ومرونته البعيدة كل البعد عن المواقف الحادة المسيئة اليه ووضوح رؤيته التى لا وضوح بعدها والتى لم يتم تحقيق توضيحها بعد وفى توازنه الحق بين الاصالة السرمد والتجدد الأزل .

و « الاسلام فى زمن العالم » كتاب عميق جدا شامل فى إيجازه مخلص صادق فى نيته يجدر بالمفكرين والعلماء المسلمين أن يتثبتوا فيه اذا هم أزمعوا صادقين على العمل فى سبيل الاسلام والانسانية .

• بحثا عن الذات :

صدر كتيب بعنوان : « بحثا عن الذات » لعلي بالحاج قاسم على نفقته وهو دراسة لمسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم .

يقدم الكاتب بسطة ضافية عن حياة توفيق الحكيم الشخصية والادبية والفكرية ثم ينتقل الى مسرحية « اهل الكهف » يتناولها من الجوانب الآتية :

« أهل الكهف » بين الحقيقة والاسطورة .

أهم مواضيع المسرحية : ماهية الوجود الانسانى ـ الانسان والزمان والحياة ـ الخلود والبعث ـ الصلة بالله : الايمان والتحدى ومنزلة الانسان .

ثم يتناول أسلوب المسرحية انطلاقا من مقارنة بين القصة القرآنية ومسرحية الحكيم فبعد ان يلخص المسرحية يبين تصرف الحكيم فى القصة القرآنية والرموز التى استعملها والشخصيات التى اضافها ثم يحاول تشخيص المأساة الخالدة مع بيان الوحدة الفنية والتقنيات التعبيرية فى المسرحية .

والخاتمة فى ابراز أهمية مسرحية الحكيم فى حركة الادب العربى الحديث وبالكتاب قائمة مصادر ومراجع عربية وأعجمية وقسم للتوسع فى بعض مواضيع وبعض نصوص من المسرحية .

وأخيرا إن الكتاب جدير بأن يكون أداة عمل طيبة بالنسبة خاصة لتلاميذ التعليم الثانوى .

• رياض النفوس :

صدر بتاريخ 1983 كتاب « رياض النفوس » لأبى بكر عبد الله بن محمد المالكى بتحقيق الاستاذين بشير البكوش ومحمد العروسى المطوى ومن المعلوم أنه منذ سنة 1951 قد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب بتحقيق وعناية الدكتور حسين مؤنس .

وهذه الطبعة التونسية تنشر الكتاب كاملا فى جرأيه مع زيادة تحر فى التحقيق والتوضيح والشرح وإصلاح بعض الخطا الوارد فى الطبعة الاولى فيما يخص الجزء الاول ومرفوقا بجزء ثالث فى الفهارس العامة .

وكتاب « رياض النفوس » فى طبقات الزهاد والنساك بالقيروان وافريقية مع سير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم .

وله أهمية كبرى اذ يتميز عن كتب التاريخ العام لابن الأثير وابن خلدون وابن عذارى والنويرى بأنه فضلا عن الاحداث السياسية يورد من الاقاصيص والاخبار عن الحياة العامة ما يمكننا من التعرف لجوانب مجهولة مظلمة من تلك الفترة من تاريخنا بالوقوف خاصة مثلا على تفاصيل مقاومة أهل السنة بالقيروان للدعوة الشيعية التى حاول فرضها جبرا المهدى وخلفاؤه وعلى أخبار تلك الظاهرة التى تفردت بها افريقية دونغيرها من بلاد الاسلام أعنى المرابطة فى المعاقل والحصون التى أنشأها عرب افريقية على السواحل اتقاء مهاجمة الروم مع بيان حياة المرابطين بها فى القرنين الثانى والثالث للهجرة .

والكتاب من نشر دار المغرب الاسلامى للطباعة والنشر .

• ملحمة الثورة العرابية :

صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بتاريخ 1982 ديوان شعر لعبد العليم القبانى جعله خاصا بكل ما يتعلق بالثورة العرابية انطلاقا من مقدماتها زمن عهد اسماعيل باشا (1863 ـ 1879) الى ما يسميه الشاعر « سلام الختام » مرورا بالوقائع والايام والانتفاضات والمضاعفات التى سايرت الثورة من كفاح وشجاعة وبطولة وأمانة وخيانة ومذابح واستشهادات .

وهذا التعامل مع هذه الفترة التاريخية الهامة وتتبعها من ارهاصاتها الاولى حتى استوائها وانتصارها قدمه عبد العليم القبانى فى هذا الديوان فى صورة « ملحمة الثورة العرابية » .

• فلسفة الخلاص فى اليوم الاخير :

كتاب آخر عن نعيمة بعد الكتب العديدة التى تناولت تفكيره وفلسفته يعتمد فيه الكاتب الحبيب الحميدى كتاب « اليوم الاخير » لميخائيل نعيمة الصادر سنة 1963 لبلورة فلسفته الوجودية .

وإن لم يكن موسى العسكرى (بطل اليوم الاخير) ميخائيل نعيمة بالذات الا أنه لا يختلف عنه كثيرا فموسى العسكرى بعد وقوفه على أهم المجارى الفلسفية فى العالم لم يجد منها ما ينجده فى مشكلة الحياة والموت فى يومه الاخير فتجربته المتجددة التى كانت تدفعه دفعا الى التفكير دائما فى معنى الوجود والموت أفضت به الى أن الحقيقة هى أن الموت لا يمثل نهاية الحياة بل مجرد مرحلة من مراحلها .

وكتاب الحبيب الحميدى دراسة جديدة نعتبرها محاولة طيبة ومساهمة

مثرية تكميلية للدراسات السابقة خاصة فى ابراز الاطار الروائى وتقديم التصور الجديد للوجود فيما يسميه الكاتب فلسفة الخلاص .

• **المقاومة فى الأدب الجزائرى المعاصر :**

صدرت الطبعة الثانية من كتاب الدكتور عبد العزيز شرف « المقاومة فى الادب الجزائرى المعاصر » عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة بتاريخ 1983 مع العلم ان الطبعة الاولى كانت قد صدرت بدمشق سنة 1971 عن منشورات وزارة الثقافة .

وبعد مقدمة فى الشخصية القومية فى الادب الجزائرى ينقسم الكتاب الى ثلاثة أبواب :

الباب الاول فى الواقع الفكرى والثقافى خاصة مع مجاراة المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسى وبيان مأساة التعبير لدى الكتاب الجزائريين .

الباب الثانى فى أدب المقاومة فى الجزائر فى القصة والشعر عند كاتب ياسين ومحمد ديب ومولود فرعون ومولود معمرى ومالك حداد وآسيا جبار كما ذكر آخرين مع تناول نماذج من القصة والشعر .

الباب الثالث فى مظاهر التجديد فى الادب الجزائرى مع العلم ان كل هذا الادب فرنسى اللغة بينما اختارت الجزائر منذ الاستقلال المحافظة على شخصيتها العربية .

• **الولايات العربية ومصادر وثائقها فى العهد العثمانى :**

أصدر مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية فى العهد العثمانى بتاريخ مارس 1984 بحوث المؤتمر الخامس للجنة العالمية للدراسات ما قبل العهد العثمانى والفترة العثمانية الذى انعقد بتونس من 13 الى 18 سبتمبر 1982 فى كتاب تربو صفحاته عن 600 صفحة بتقديم الاستاذ محمد مزالى الذى اعتز بانعقاد هذا المؤتمر الهام فى تونس بلاد اللقاءات ومهد الحضارات ورابطة المواصلات المتوسطية عبر تاريخها المديد مبينا فضل الخلافة العثمانية فى الحفاظ على ذاتية البلاد العربية والاسلامية طيلة قرون عديدة وصيانتها من كل محاولات الطمس والمسخ والعدوان واسهام الحضارة العثمانية فى إثراء الحضارة العربية عامة والتونسية خاصة والتفاعل الخلاق بين الحضارتين .

ومجموعة هذه البحوث الممتازة من شأنها ابراز هذا التفاعل وحث الباحثين والدارسين على السير قدما فى تلاقح جديد بين الحضارتين مع انصاف الدولة العثمانية والحرص على التقريب اليوم وغدا بين الامة العربية وتركيا .

والمجموعة مرفقة بفهارس وبها قسم باللغتين الانقليزية والفرنسية يمتد على 40 صفحة .

• **دين الموريسكيين الاندلسيين وهويتهم ومصادر وثائقهم :**

صدر بتاريخ أكتوبر 1984 من منشورات المعهد الأعلى للتوثيق بتونس الجزء الأول لأعمال المؤتمر العالمي الثاني للجنة العالمية للدراسات الموريسكية الاندلسية عن « **دين الموريسكيين الاندلسيين وهويتهم ومصادر وثائقهم** » من جمع وتقديم الدكتور عبد الجليل التميمي مدير المعهد .

ويشتمل هذا الجزء الاول بعد كلمات الاساتذة عبد الجليل التميمي والحبيب الشطي ولويس كرديال وعبد العزيز بن ضياء على الاعمال التي قدمت للمؤتمر باللغات الفرنسية والاسبانية والانقليزية فيما لا يبعد كثيرا عن 400 صفحة وإن هذا لدليل على أهمية الحوار الثري والمثري بين اللغات والثقافات وبين الباحثين على اختلاف مشاربهم وأديانهم .

ومع الجزء الثاني في البحوث المقدمة باللغة العربية عندما يصدر ستكون لدينا مجموعة وثائق هامة يتكون منها حقل بحث فسيح للدارسين والمؤرخين والاجتماعيين المهتمين بالموضوع .

• **انقذوا البحر :**

الديوان الثالث للدكتور فواز أحمد طوقان صدر بعمان سنة 1983 . والشاعر من أسرة فلسطينية مشهورة بالادب والشعر فكأنما فيها إرث مشاع فمن لا يذكر الاستاذ أحمد طوقان ـ وهو أبو فواز ـ وشاعر فلسطين الشهير ابراهيم طوقان وفدوى طوقان وغيرهم وكما قال الاستاذ عبد المنعم الرفاعي : « لئن كان عنصر الشاعرية واحدا في الجميع فان أساليب الشعر ومذاهبه تتنوع في هذه الفروع الباسقة، فالأصالة في شعر ابراهيم تقابلها الرقة في شعر فدوى ويقابل ذلك التصوير الرمزي في شعر فواز في اطار من ثقافته الواسعة وهو دكتور يشتغل بالتدريس في الجامعة الاردنية » .

غير أن شيئا واحدا يجمعهم كلهم هي الوطنية المتأججة المتغلغلة في الاعماق والمرهفة في تألمها وصلابة ايمانها بالنصر الاخير ويبدو هذا جليا في هذه المجموعة من الشعر الحر التي تربو على ما يقارب الـ 160 صفحة ما عدا الحواشي :

وفلسطين تجلت
بين نهديك استقرت ...
فبدت لي بعد ذا القدس قريبه !

• **اربعة دواوين :**

أمامي أربع مجموعات شعرية لفاروق جويدة من سلسلة مكتبة غريب بالقاهرة ، وهي على التوالي :

« ويبقى الحب » (1977) - « فى عينيك عنوانى » (1979) - « دائما أنت بقلبى » (1981) - « شىء سيبقى بيننا » (1983) .

فاروق جويدة منتج خصب ما زال شابا وله أكثر من عشرة مؤلفات ثمان منها مجموعات شعرية تزخر كلها بالحب حب المرأة وحب الأم وحب الأرض وعليها كلها مسحة حزن وحسرة وخيبة وحيرة وأسى وحتى الحب الذى يملأ قلبه والذى يؤمن ببقائه أو على الاقل ببقاء شىء منه نجد عليه نفس المسحة الخاصة بشباب اليوم الذى نريد منه تحولا جذريا نحو الايمان بمستقبل الحياة على علاتها أفضل وأسعد فالتفاؤل سر البقاء والخلود .

• **سنما عمل :**

صدر العدد 26 من المجلة الفصلية « سنما عمل : Siném-Action » التى أسسها سنة 1978 فـي هنابـال والتى طرقت منذ صدورها الى الآن ثلاثين موضوعا تعتبر كلها وثائق هامة فى ميدان السنما وبالخصوص سنما العالم الثـالث .

والعدد الذى بين أيدينا خاص بسنما افريقيا السوداء : نظرات شاملة عن هياكلها لغاتها اتجاهاتها امكانياتها موضوعاتها ومهرجاناتها .

وشاركه بمساهمة طيبة مشرفة فى هذا العدد النـاقد التـونسى فريـد بوغدير الذى يعود اليه فضل كبير مع أخيه الاكبر الطاهر شريعة فى خدمة السنما الافريقية .

والقسم الاخير من العدد فى صورة قاموس لـ 250 سنمائى افريقيـا من جمع فيكتور باشى صاحب الكتب القيمة عن السنما فى فولتا العليا وفى المالى وفى ساحل العاج . يكون تتمة للقاموسين اللذين جمعهمـا فـي هنابـال : « السنماوات الافريقية » (1972) و « سنمائيي افريقية السوداء » (1978) .

والخلاصة أن العدد 26 من « سنما عمل » وثيقة هامة جدا فى مكتبة السنما الافريقية لا غنى عنها لأى دارس أو باحث فى الموضوع أو حتى مجرد متعرف الى السنما الافريقية .

وتعود بى الذكرى الى العهد البطولى الذى أسست فيه نادى السنما بمعهد كارنو وأشرفت على حظوظه ما يقارب العشرين سنة وكونت له مكتبة سنمائية فريدة من نوعها وثرائها بما احتوته من مجموعات مجلات مختصة ودراسات وتواريخ سنما وكل القواميس السنمائية والتى اضطررت - على مضض - الى تركها والتخلى عنها سنة1979 عند احالتى على التقاعد فلا أدري ما كان مصيرها.

والنفس دائما تواقة الى هذا العالم السحرى الذى أعادنى اليه هذا العـدد الممتاز من « سنما عمل » .

محسن بن حميده

ندوة القراء

من قصائد الشعراء في «خمسينية الشابي»

بقلم: رابح لطفي جمعه

احتفلت تونس في الفترة من 9 الى 12 أكتوبر سنة 1984 بمرور خمسين عاما على وفاة شاعرها الفذ المرحوم أبى القاسم الشابى (1909 – 1934) وذلك بولاية « توزر » مسقط رأس الشاعر حيث درج فى طفولته ويفوعته بين روابيها الخضراء ونخيلها الباسق ومسارب مياهها الجارية .

وقد شارك فى هذا المهرجان الادبى الكبير وفود من البلاد العربية ، من مصر والمملكة العربية السعودية والكويت والاردن واليمن والجزائر والمغرب وليبيا والسودان وغيرها من الاقطار العربية ، كما حضره بعض المستشرقين من انجلترا وايطاليا وأمريكا فضلا عن أدباء ونقاد وشعراء تونس نفسها .

وقد نجح هذا المهرجان الادبى الكبير الذى كان أشبه بسوق من أسواق الادب عند العرب نجاحا عظيما بفضل الجهود الموفقة التى بذلها المسؤولون عن إقامته وتنظيمه ، وفى مقدمتهم المفكر الكبير الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول وصاحب مجلة « الفكر » الغراء والاستاذ الاديب اللغوى المحقق والمؤرخ المدقق البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية والدكتور محمد الطالبى رئيس اللجنة الثقافية القومية .

وكان من الطبيعى أن يحتل الشعر مكانه بين المحتفلين بهذه الذكرى ، فصاحب الذكرى شاعر وهبته ربة الشعر قيثارة عزف على أوتارها الذهبية أشجى الالحان وأرق الانغام ولمع فى سماء الشعر العربى كالشهاب الشارق ، فشد الانتباه واسترعى الاسماع اليه .

وقد شارك نخبة من شعراء تونس المعاصرين مع بعض اخوانهم من الشعراء المصريين فى تحية واحياء هذه الذكرى ، نذكر منهم نور الدين صمود والصادق شرف ومختار الوكيل وعبد العزيز شرف ومحمد عبد المنعم خفاجي ومحمد علي الهاني ومحيى الدين خريف وسحنون مختار سحنون ومحمد بن صابر

وأحمد اللغماني ورجب بنء مهنى وغيرهم (*) .

وقد اختلفت منازع هؤلاء الشعراء فى قصائدهم باختلاف ما أوحت بـه الذكرى الى كل واحد منهم من معان وخواطر وأخيلة ، الا أن السمة الغالبة فى معظم القصائد هى الشكوى مما وصل اليه الشعر فى وقتنا الحاضر من الركاكة والفهاهة والغثاثة والتفاهة ، على أن منهم من توجه لصاحب الذكرى بالشكوى مما وصل اليه حال العرب من التمزق والقطيعة كالدكتور نور الدين صمود ، وشذ الدكتور مختار الوكيل فى قصيدته فأخذ يتغنى فيها بالامـل والوحـدة الكبرى بين العرب .

وفى هذا المقال نتحدث عن بعض الخواطر التى تناولها الشعراء فى هـذه القصائد ، وفى مقدمتها الشكوى مما انحدر اليه الشعر فى وقتنا الحاضر .

لقد كانت قضية الشعر المعاصر أو بالاحرى محنته وما وصل اليه محورا أساسيا فى قصائد الصادق شرف وأحمد اللغماني وسحنون مختار سحنون ومحمد علي الهاني .

وكان من الطبيعي ـ وصاحب الذكرى شاعر عربى فذ ـ أن تثير ذكراه فى نفوس هؤلاء الشعراء وخواطرهم ما يعانى الشعـر العـربى المعـاصر من ابتذال وهبوط سواء فى الشكل أو المضمـون ، وان يتوجهـوا الى شاعـرهم بشكواهم وأن يفضوا اليه بما يجيش فى قلوبهم ويناجوه بمـا يختلـج فى نفـوسهم .

فالصادق شرف ـ وقد استعدتنى الظروف بلقائه وسماع قصيدته الرائية قبل نشرها ـ يتحدث الى الشابى فى هذه القصيدة المعنـونة بـ « عشـاق المطر الصعب » على أنه الشطر المكمـل للشـابى أو هـو الامتـداد الطبيعى فى التواصل الشعرى بعد الشابى فيقول :

انهيك فى شره شطرى ، وابلؤنى إن كنت زهرا فحتما أصبح الثمرا

ثم يتطرق الى قضية الشعر المعاصر ، ويبدو أنه جعل محنة الشعر قضية بينه وبين الشابى ، فهو يدير فيها الحديث والحوار مع الشابى مستعملا الوانا

(*) وقد نشرت قصائد الشعراء فى العدد الخاص « بخمسينية الشابى » من مجلة « الفكر » الصادر فى نوفمبر 1984 ـ ع : 2 ـ س : 30 .

طريفة من الجناس والاستعارة والتورية والتشبيه والكناية وغير ذلك من المحسنات البديعة ، ويقول ساخرا مما يطلق عليه اسم : « قصيدة النثر » :

الشعر حر ، وبحرى من يحرره   إلا الذى ثار ضد السهل وانفجرا ؟
وبات من لم يعش بالأصل ملتحما   يحيا المعاناة ، مثل الورق منتثرا
يكفى دعاة «قصيد النثر» انعجزوا   من ظن أبحر ، فعلا إنه بحرا ! !
من لا يحب صعودا .. ها تخطفه   للسفح عفارة سوت به الحفرا
ايعجز النبع عن صلب الجبال ؟ اذا   ما اشتد هد صخورا وانبرى زمرا
نحن « الاخلاء » والتاريخ ننقشه   في الصعب لا السهل إنا نعلن السفرا

ونحن بطبيعة الحال مع أبى وجدان فى نظرته للشعر المنثور ، ورأينا فيه معروف ومنشور ، ومجمله أن هذا اللون من « الكلام » لا يمكن أن نعتبره شعرا بالمعنى المعروف للشعر ، مهما انطوى على ايقاعات منغومة وأخيلة فائقة ومعان رائقة وألفاظ رقيقة وعبارات رشيقة ، وانما نعتبره لونا من ألوان الكتابة الادبية أو النثر الفنى ، لسبب بسيط وبديهى هو أن الشعر اذا فقد الوزن انقلب الى نثر .

أما محمد على الهانى فيقول للشابى من قصيدته « فصرخت جياش المنى : لا بد ان ... » :

فاعذر جوادى فى القريض اذا كبا   فلقد رحلت بكل شعر جيد
اشعارنا صدئت وغاض رواؤها   وتنكرت لعكاظها والمربد
وتعددت اسماؤنا لكنها   أصواتنا فى الشعر لم تتعدد

أما الشاعر سحنون مختار سحنون فقد عبر عن رؤياه للشعر المعاصر بعدة أبيات صور فيها ما وصل اليه حال الشعر الفاظا وأخيلة ومعانى وقافية وما تميز من إغراق فى الرمزية وايغال فى الالغاز واستغلاق عن الفهم ، فيقول من قصيدته « الى روح الشابى فى ذكراه الخمسين » :

الشعر قد لاحت جنازته   فى كل لفظ عن الاخلاق ينبت
اسموه حرا فلا وزن ولا نغم   فالشعر ما شئت من هذر وما شئت
وشاعر اليوم لغز فى تناوله   ولا على لغزه شرح ولا نعت
فلا تشدك من فوضاه قافية   ولا يميلك من فرط العيا بيت
قم يا ابن واحتنا واعزف لهم نغما   لعل فى اذنهم ينداح ذا الصوت

اما احمد اللغمانى فقد كان فى قصيدته « لنا موعد » عنيفا فى التعبير عن سخطه وغضبه لما وصل اليه الشعر والشعراء فى وقتنا الحاضر ، فتحدث عن الفن والشعر وكيف يموت بحنجرة العندليب ، وكيف أن كتاباتنا أصبحت اليوم ثرثرة وكيف ان أشعارنا أصبحت لقيطة ليس لها نسبة ولا انتماء . وهو طبعا يشير بذلك الى موجة الرمزية الموغلة فى الغموض والابهام التى اجتاحت الشعر العربى المعاصر تقليدا للشعر الغربى فى أوربا وأمريكا ففقد الشعر العربى أصالته وعراقته وأصبح نظم الشعراء كما يقول ابن شهيد فى رسالته التوابع والزوابع : « ليس لسيبويه فيه عمل ولا للفراهيدى اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة ، وإنما هو لكنة اعجمية يؤدون بها المعانى تادية المجوس للنبط !! » .

يقول اللغمانى فى قصيدته متوجها بحديثه الى الشابى :

فهلا تركت لحين مكانك فى شرفات
العلاء
وهلا نزلت الينا قليلا
لتشهد مهزلة الشعر والشعراء
وهلا نزلت الينا قليلا ابا القاسم
فقرات علينا كتابك
إن كتاباتنا اليوم ثرثرة

لا ابتداء لها ... لا انتهاء
ابا قاسم ! عد الينا نبيا
فاشعارنا هجنتها الدعارة !
فهى بنات بغاء !!
لقائط من ههنا ... وهنالك
لا نسبة ... لا انتماء

هكذا عبر الشعراء عن خواطرهم عما يعانيه الشعر العربى المعاصر ، ولا شك فى ان لهذا التعبير على اختلاف لهجته ونغمته ، دلالته على ما وصل اليه هذا الشعر فى الوقت الحاضر ، وهو أشبه بدقات ناقوس الخطر أو إضاءة إشارة التنبيه الحمراء .

أما نور الدين صمود فقد أهاجت ذكرى الشابى فى نفسه خواطر مختلفة ضمنها « رسالته الى الشاعر » ، تلك هى ما وصلت اليه حال العرب من التمزق والقطيعة وما أدى ذلك من محن حلت بالبلاد والعباد .

فبعد أن يتحدث الشاعر عن الشابى وشعره وكيف كان ملتهب الحس ثائرا « يلعلع شعره كالرعد فى وجه الطغاة » و « يلمع كالنور فوق المنائر »

يهد جدار الظلم ، وكيف كان يدغدغ قلوب المحبين بأحلى أغاني الهوى والشباب ـ يوجه للشاعر الحديث ويسأله :

ايا خالد الشعر ... إن الرزايا
بدنيا العروبة اضحت
كغابة حزن ... كامواج بحر
وقد كان خصم العروبة مستعمرا
جائر الحكم غاشم
يقاومه الشعب بالنار تكوى
وبالشعر يوقظ ماضي العزائم
فاصبح خصم العروبة اخلص
ابنائها
وقادتها جاوزوا في مجال القطيعة
اكبر اعدائها
وفي كل يوم نحاول قربا
فنزداد بعدا
وفي كل يوم نحاول وصلا
فنشبع صدا
وفي غمرات القطيعة ضاعت بلاد
وماتت عباد
واضحت قصائدنا في مجال الفخار
حداد !

وعلى العكس من الدكتور نور الدين صمود ـ نجد الشاعر المصرى مختار الوكيل فى قصيدته « مع الشابى فى ذكراه الخمسين » مفعما بالامل والرجاء ، ينظر الى الواقع العربى نظرة ملؤها التفاؤل ، يتغنى بالامانى والانتلاف والوحدة الكبرى بين العرب ، ويرى فى اجتماع الادباء من مختلف الاقطار العربية للاحتفال بذكرى الشابى نوعا من الوحدة ولونا من التأييد ، فيقول الوكيل موجها حديثه للشاعر :

قم أبا القاسم العزيز تر الشعـ ـب يغني في فرحة المجدود
الأماني مطلولة وبلاد الـ ـعرب قد حطمت قيود الحديد
وأرى العرب كلهم في ائتلاف ووفاق محبب وصمود !
همهم رجعة الى الوحدة الكبـ ـرى بنصر مؤزر مشهود
وأرى اليوم جميعهم عند أبى القا سم لونا من رائع التاييد

وبعد ...

فهذه بعض ما اوحت به ذكرى الشابى الى شعراء العربية من خواطر لها دلالتها وارتباطها بالواقع المعيش ، سواء فى عالم الشعر المعاصر أو فى الواقع العربى الحاضر .

رابح لطفي جمعه
ـ القاهرة ـ

بريد القراء

فراشة عشق

شعر : جمال محرز

أُحاولُ لَثمَ المَلاكِ عَلى وجْنَتيْكِ ..
أحاول مصّ النبيذ المعتّق من شفتيك
أحاول رشّ السنابل في ضفْرتَيْكِ
أحاولُ قطف الفراديس من ناهديْكِ
لأَعْرِفَ سرّ انْجذَابي إليْكِ ..

* * *

.. وأكتشف الآن .. أنّ العصافير تسكن فيكِ ..
وتَبْنِي عَلى ناهِدَيْكِ صِبَاهَا ..
وَآجَـلاَمَهَا العَاطِفِيّه ..
وتنشرُ فوقَ روابيكِ عِطْرًا تُضَوّعهُ أغنيات شَجيّهْ ..
يُوشّحُهَا الشّفَق القِرْمِزِيُّ المُوَشّى
عَلَى ضِفّةِ الشّمْسِ .. والظلّ كالمَزْهَرِيّهْ ..
وفوق زهور البنفْسَجِ تأْتِي الفراشات سَكْرَى
بِريح القرنفل تصنع زربيّة مخمليّهْ
تحجّ الطيور إلَيْهَا .. لتسأل عن نجمها الأقحواني
وعن موسم حافل بالأماني ..
يُنمّقهُ الرّعْدُ والعاصفهْ

هِيَ الرّوحُ تأتِي .. مُفَتّحَةً بعبيرِ الصبابَهْ ..
ومصقولةً .. بنقاءِ النفوسْ ..
ومغموسة في عبير البنفسجِ مَغْمُورَةً بضياءِ الشموسْ ..
وأنْتِ غزالتِيَ الشّارِدَهْ ..
تأبّطْتِ روحِي بِعُنْفٍ .. كأيِّ عَرُوسْ
وثُرتِ .. عَلى عَيْنِيَ الدّامعَهْ ..
فتَحتِ شرَايين قلبِيَ .. فانبَلَجَ الدّمُ فيهَا ..
تَسَرْبَلْتِ فِي جسدِي نشوة
وسافَرْتِ فِي دَاخِلِي .. فاشْتَعَلْتُ حَرِيقًا
يُؤَجّجُنِي الشّوْقُ والعَاطفَهْ ..
هِيَ الرّوحُ .. تبعثُ مِنكِ نَقِيّةْ ..
هُوَ الكون .. يخلُق منك نبيهْ ..
هو الحبّ يصبح فيك سَخِيًّا .. وتنطلق الأغنياتُ ..
على نغم من عُطاء جنوني يُجَنّحُنِي كالحَمَامْ ..
وقَلْبِي إليْهِ .. تحجّ الطيور مضمّخة بعبير الوجود .. ومترعة بعطور الهيام
فترقص كلّ فراشات عشقِيَ جَذْلَى
عَلَى ورق الورد .. والبَيْلَسَان ويغرس فيّ اشتهاء الربيع زهور غرام
تزيل الكوابيس عَنّي .. وتبعد عن قلبي الرّاجِفِ/ رعشتِي في الظلامْ ..
سلام على شاعر العشق والعاشقين !
سلام على زورق الحب والحالمين *
سلام على قمر أثقلته مكابدة الياسمين !
سلام على وردة جرفتها سيول الخريف الحزين !
سلام على طائر عاشق ... ذبحته السنون

جمال محرز

أصداء الفكر

● **أبعاد تكريم محمد مزالي في باريس من خلال افتتاحيات الصحف التونسية :**

اهتمت وسائل الاعلام بمختلف أنواعها اهتماما بالغا بتكريم جامعة السربون الفرنسية الشهيرة للاستاذ محمد مزالي الوزير الاول ووزير الداخلية وأحد أشهر خريجي هذا الجهاز العلمي والفكري العريق ، فقد كتبت جريدة «الصباح» في افتتاحية عددها الصادر يوم الاحد 17 مارس 1985 تقول: «اذا كانت الثقافة هي الصوت الداوي لضمير الامة .. ضميرها الجماعي المشترك ووعيها التاريخي العميق وترجمان تطلعاتها المستقبلية وطموحاتها الكبرى ، فان هذا المفكر التونسي العربي المسلم الذي وقف في السربون شامخا يتسلم ميداليتها الممتازة يعد بحق أحد رواد الثقافة في عصرنا ، وأحد رواد عصرنا في التعلق بأصالتها وحضارتها وفي المناداة بالتحرر الثقافي وهو القائل : « إن الكفاح من أجل الحرية هو كفاح ثقافي وحضاري ... وبعد تعرضه بعمق لمدلول هذا التكريم وتأثيره على الفكر العربي الاسلامي ، أشار الاستاذ عبد الجليل دمق صاحب الافتتاحية الى انتمائية محمد مزالي الروحية لبورقيبة وتشبثه بالقيم العليا التي رفعها قائد التحرر والانعتاق طوال مسيرة نضاله في جميع المجالات . ويختتم المحررة تعليقه بقوله : « ... هذا هو عين محمد مزالي ومعينه ... ولهذا بالذات عاد الرشد الى من عاملوه بحذر فانصفوه واعترفوا بصدق منهجه وثرائه وبعده الكلي عن عصبية المواقف أو الرغبات وانما موقفه مبني على الارادة وهي لا تكون أولا الا أصالة ثم مثابرة ثم تفجيرا للابداع في العمل وفي التعامل وفي التعاون » .

أما جريدة « العمل » ، فقد خصصت افتتاحية عددها الصادر يوم الاحد 17 مارس 1985 لتحليل أبعاد هذا الحدث الهام : « انها حقا للحظة مؤثرة للغاية تلك التي تولت خلالها رئيسة جامعة السربون السيدة « أرفايلار » تقليد

الاستاذ محمد مزالي ميدالية جامعة السربون » العريقة. نقول : «مؤثر» لا لانها فقط شهدت اسناد اسمى استحقاق أكاديميى لاول مرة الىمثقفعربى، بل لانها ترمز بصفة بليغة الى نجاح المجاهد الاكبر فى مراهنته على فرنسا المتحضرة... فرنسا ذات الامجاد الفكرية والابعاد الانسانية » . وبعد تعرضه الى البعد الحضارى لهذا التكريم باعتباره دفعا لحوار الحضارات فى أبهى مظاهره وأسماها اختتم المحرر مقالته بقوله : «اذا كان حسن الحظ من الاشياء التى لا بد للمرء من أن يكون جديرا بها فان تونس لجديرة بحسن الحظ الذى جعل على رأسها قائدا فذا بوأها مرتبة فى الفكر عالية ومكانة بين الامم راقية وكون رجالا فى مثل وزن الاستاذ محمد مزالى هو أبلغ وأرفع برهانا على عظمة النبوغ البورقيبى ».

وتناولت كل الصحف التونسية وقائع هذا الحدث بالتغطية الشاملة والمفصلة مبرزة أهمية هذا التكريم فى خلق حوار بناء بين الحضارات .. وتأكيد مكانة تونس كمحرك فاعل فى صلب الحضارة الانسانية ... مبرزة مدى تأثير الفكر البورقيبى الانسانى واشعاعه داخل الحدود وخارجها ... انطلاقا من سموه ورفعته وبالتالى خصوصيته وتجذره .

كما كتب السيد صالح الحاجة بجريدة « الصباح » الصادرة يوم السبت 23 مارس 1985 مقالا تحت عنوان : « هذا الرجل وهذه الميدالية » ننشره كاملا :

«الغرب قد لا يحترم من يسايره .. ومن يمشى فى ركابه .. ومن يقلده تقليدا ببغائيا .. ومن يرتمى فى احضانه بلا شروط .. وبلا قيود .. وبلا حتى مقابل أحيانا .

هذا الغرب المتعالى .. المزهو أحيانا قد يحترم احتراما يبلغ مبلغ التقديس من يتقدم نحوه وهو واثق من نفسه .. معتز بذاتيته .. مؤمن بأمته .. مستوعب تاريخه .. متمسك بهويته وأصالته .

ان الغرب يعرف تماما ان القوم لا يكونون قوما الا اذا صدقوا مع أنفسهم .. واعتزوا بذاتيتهم .. ولم يفرطوا فى أصالتهم وشخصيتهم .

انه يعرف ذلك المعرفة الجيدة الواسعة العميقة لانه مر من ذلك الطريق .. وعبر التجربة .. فلو فرط فى ذاتيته لما أسس هذه الحضارة العظيمة التى ينعم بها اليوم .. ولو لم يتمسك بشخصيته لكانت شخصيته اليوم مطموسة .. ضعيفة .. مهزوزة .

ومحمد مزالى .. واحد من الذين تقدموا من الغرب بلا وهن أو ضعف فى شخصيته العربية الاسلامية .

لقد ذهب اليه وهو تونسى .. عربى .. معتز كاشد ما يكون الاعتزاز بانتسابه لمحيط عربى اسلامى .. ولأمة عربية عظيمة ذات صولات وجولات فى التاريخ .. وفى البطولات .. وفى الابداعات .

مـا تفـرنس ..
ومـا تغـرب ..
ومـا أدعـى يومـا انـه من دعـاة التغـريب .
بالعكس كان دائما أصيلا متاصلا .. يرفع شعار التعريب وينجزه .. ينادى بالأصالة ويحث عليها .. يؤمن بان تونس جزء من وطن عربى كبير ويعمل على بلورة ذلك الايمان فى نفوس هؤلاء الذين من حوله .

انه مثال العربى الذى يتفتح على حضارة الغرب بدون مركب نقص ، وبدون عقدة استعلاء .. وبدون شعور بالانسحاق وبدون استعداد للذوبان .

ولذلك احترمه الغرب .. واحترمته فـرنسا الحـريصة على لغتهـا .. وعلى ثقافتها .. وكان ان جسدت فرنسا هذا الاحترام تجسيـدا حضاريـا رائعـا وجميلا لا نملك الا ان نقابله بالاحترام والامتنان .

ان اهداء ميدلية جامعة السربون لمـزالى بالذات رجل التعـريب والأصالة والتفتح سيزيد مزالى اصرارا وثباتا على التوغل اكثر فى الطريق الذى اختاره منذ البداية .. وهو طريق يحث الشخصية العربية الاسلامية التى لا تسجـن نفسها فى الماضى وتقضى الدهر تلو الدهر فى البكاء على الاطلال .. ولكنها فى الوقت نفسه لا تقتعد مقاعد الأيتام فى موائد اللئام .. وانما تحاول أن تنهض بنفسها وهى مؤمنة بذاتها .. متجذرة فى تاريخها وبيئتها .. متطلعة الى غدها السعيد الذى تصنعه بأيديها لا بأيدى الآخرين .

● **تونس تتالق فى المعرض الدولى العاشر للسياحة بباريس :**

تحصل الجناح التونسى فى المعرض الدولى العاشر للسياحة الذى اقيم اخيرا بعاصمة النور باريس على الجائزة الثانية بعد الجناح السورى الذى احتل المركز الاول..وقد جمع هذا المعرض 624 عارضا من احدى وسبعين دولة، خمس منها عربية (تونس ، الجزائر ، المغرب ، سوريا ومصر) ... وزاره أكثر من مائة وثمانين الف زائر ... وقد تمكن الجنـاح التونسى من التـالق بخصوصيته المتفردة ، وحسن اختيار معروضاته ، وأصالته المتجذرة التى جسمتها بعض الرقصات الفلكلورية الرائعة .

● **الاجتماع الاول لمجلس امناء جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الاسـلامية :**

انعقد فى تونس فى الفترة من 12 الى 13 مـارس 1985 ، الاجتمـاع الاول لمجلس أمناء جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافية العربية الاسلامية وادارة الصندوق ، وقد افتتح السيد محمد مزالى الوزير الاول ووزير الداخلية هـذا الاجتماع ... الذى تمخض عن اقرار العديد من التوصيات الهامة تتعلق أساسا

بتدعيم عمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأجهزتها حتى تواصل القيام برسالتها النبيلة طبقا للآمال المعلقة عليها ، وقد اختتم المجلس اجتماعاته بتوجيه الشكر والتقدير للمجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة وحكـومته برئاسة السيد محمد مزالي وللشعب التونسي على رعايته وكرم وفادته وانتخب مجلس ادارة الصندوق الدكتور محمد عبده يماني وزير الاعـلام السعـودي السابق لتحمل أعباء رسالته .

ومن أعضاء مجلس الأمناء الاساتذة : محمـد مـزالي ومحمـود المسعـدي والبشير بن سلامه وفرج الشاذلي ومحمد العروسي المطوي وأبو بكر المبروك والطاهر قيقـة ومحمد الحبيب بلخوجة .

وقد انتخب المجلس رئيسا له الاستاذ محمد مزالي .

● **بروكسيل في غرة أكتوبر 1984 :**

تلقينا من الصديق عمـار الشابي من بروكسيل رسالة ضمنهـا مقالا عنوانه (جولة في كتاب الاستاذ محمد مزالي الذي عنوانه : «حديث الفعل») ننشره للافادة :

سعادة الوزير الأول للجمهورية التونسيـة المحبوبة والأمين العام لحزب الامـة العتيد الحزب الاشتراكـي الدستوري التونسـي ، بعد الاطلاع علـى جوهرتكم الفريدة «حديث الفعل» التي تفضلتم باهدائها لي مع تحلية لطيفة جدا أثرت علي وذكرتني كذلك في لفتة أخرى جدتم بها على أخيكم العربـي (مواقف) واني لكـم من الشاكرين والى سخائكم لمن المعترفيـن ، وبعدمـا قرأت قراءة مدققة لدرتكم التي تسلط للرأي العام القومـي والاجنبي أضـواء على حياة شخص كرس حياته لخدمة مبادىء جليلة منها مبدأ (اعرف نفسك بنفسك) أو ابدأ بنفسك ثم انتقل للعالم العلوي ثم السفلي ، ولا أستغـرب من هذا لأنكم الاستاذ والمربي للكبار والصغار منذ حداثة سنكم ولم تمنعكـم تقلبات الزمان من رادس الى سبيطلة الى المنستير هذا العصر لما فيه مـن وداعة فهو مطيع ولمن سار على منوالكم ولو رجعت بي عجلة التاريخ الى الوراء لـرددت قائـلا :

واذا رأيت من الهلال نموه فابشر بان سيكون بدرا كامـلا

ثم تدرجتم في طريـق سطرتموه لأنفسكم وغـامرتم بما لديكم من حـزم وجرأة لكسب النتائج الايجابية بداية من دخولكم المعهـد الصـادقي الى أن ملأتم وطابكم من علوم ادارية وفلسفية رائدكم فـي ذلك الشهادة التـي مـا فارقتم الساحل والمنستيـر الا لأجلهـا قصد حط الرحال برحاب سقـراط وافلاطون وابن رشد والفارابي وارسطو وفرويد ويونق ورايش وابن سينـا

وابن الجزار وابن خلدون والشابى من الذين تربيتم عليهم وكل من انتهج طريقهم وسار على منوالهم .

وخلاصة القول فان فخامة الرئيس الجليل الأب الروحى لجميعنا قد اصاب فى تسليم مقود السفينة التونسية لشخصكم التى قدتموها بنجاح الى شاطىء السلامة ومن كل أعماقى أتمنى لمعاليكم كل التوفيق والنجاح فى مسيرتكم الموفقة وأن يجنبكم الله العثرات ، وكل من سار على الدرب وصل وهنا لا يسعنى الا أن أردد على لسانكم هذا البيت :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ولكم زدت تعلقا بشخصكم واعجابا بكم عندما سئلتم ، لو فرضنا أنك فى جزيرة نائية وعلى انفراد فما هى الكتب التى تحملونها معكم فكان جوابكم التلقائى ان أول ما أختار هو القرآن الكريم ... مع اذاعة قومية عامة وشاملة فهنيئا لكم على حصافة الرأى وبعد الرؤيا وعلى احاطتكم بجميع المسائل الادارية والسياسية والاجتماعية وهنيئا للشعب التونسى بكم فى ظل نشاطكم الدائب فى خدمة الشعب التونسى والامة العربية والاسلامية باسرها ، والسلام من محترمكم عمار الشابى .

● **البشير بن سلامه والقصة التونسية :**

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الاذاعة والتلفزة المصرية فى عددها الصادر فى 1985/3/2 بركن ثقافة مقالا بقلم الدكتور صلاح عدس جاء فيه ما يلى :

البشير بن سلامة قد اثرى المكتبة العربية بانتاجه القصصى وخاصة رائعته رواية « عائشة » ومجموعته « لوحات قصصية » ..

وبطلته عائشة تعكس ماساة المراة فى مجمع متقلب مهزوم .. كما ان كاتبنا الكبير يراس تحرير مجلة « الفكر » .. التى تؤدى منذ ثلاثين عاما خدمة كبيرة للادب التونسى والثقافة العربية بوجه عام .. ومما يساعد كاتبنا فى ذلك منصبه كوزير للثقافة التونسية ..

وقد شهدت القصة فى تونس والمغرب العربى عامة نهضة بعد الاستقلال اى ان ولادة القصة هناك قد جاءت متأخرة عنها فى مصر والمشرق العربى ولكن القصة التونسية والمغربية عامة قد ولدت عملاقة بحيث يمكننا ان نضع البشير بن سلامة مع نجيب محفوظ فى صف واحد من حيث عمق المضمون ودقة رسم ابعاد الشخصيات وجودة البناء الدرامى للحدث وشاعرية الاسلوب اللغوى ..

وكاتبنا مفكر له عدة مؤلفات أخرى مثل كتابه « قضايا » الذى يتعرض

فيه للعديد من موضوعات الادب والثقافة مما يكشف عن ثقافته الموسوعية .. ويكشف عن عمق تحليلاته واستنتاجاته .. ولكاتبنا أيضا كتاب آخر عنوانه : « **نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى** » وهو بحث جديد يحدث ثورة في « الفيلولوجيا » أي علم اللغة العربية أو اللسانيات .. وفيه يتحسس كاتبنا العلاقة بين نوعية الايقاعات في العامية وتداخلها في **ايقاعات الفصحى** عند العباقرة من الادباء العرب .

ويرى كاتبنا ان الفصحى لم تتطور بالالفاظ والمعاني فقط بل بالايقاع ، ولكاتبنا أيضا عدة مؤلفات أخرى مثل : كتاب «**اللغة العربية ومشاكل الكتابة**» وكذلك كتاب « **الشخصية التونسية مقوماتها وخصائصها** » وله أيضا كتاب « **النظرية التاريخية في الكفاح التحريري التونسي** » .

وهكذا تكشف لنا كتبه هذه عن جانب المفكر في شخصيته بينما تكشف قصصه عن الجانب الابداعي لديه .. كما ترجم كاتبنا أيضا بالاشتراك مع الوزير الاول محمد مزالي كتاب « **تاريخ افريقيا الشمالية** » وكتاب « **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي** » وهما من تأليف « شارل أندري جوليان » ... وهو بانتاجه الادبي واسهامه الثقافي المتميز بجدته وأصالته قد اثرى الحياة الثقافية في تونس والعالم العربي .

● **البشير بن سلامه .. نجيب محفوظ مغاربي :**

قرأنا في جريدة « الانباء » المغربية الصادرة يوم الاحد 17 فيفري 1985 مقالا بقلم الاستاذ حلومي بوعزة تحت عنوان البشير بن سلامة نجيب محفوظ مغاربي جاء فيه ما يلي :

صدر للبشير بن سلامة وزير الثقافة بالجمهورية التونسية الشقيقة رواية تحت عنوان « عائشة » وهي الرواية التي صدرت بالتحديد ولاول مرة عام 1982 يقول عنها المؤلف عند المدخل : رواية « عائشة » هي رواية قائمة الذات اشخاصها يتحركون في الحياة والموت . في السفر والاقامة ، في الشقاء والسعادة في اللذة والالم ضمن رباعية عنوانها « العابرون » .

هم « عابرو » حياة لا هم لهم الا عيشها يرحلون عنها ولم يتركوا شيئا يخلد ذكرهم ويرمز الى مآثرهم لذلك اردت تسجيل لقطات من عبورهم لهذه « الدنيا » .

هكذا اذن يقدم البشير بن سلامة لروايته الشيقة التي لا تعرف الا الحركة والمفاجآت عبر العلاقة التي تربط أبطالها . واذا كانت الرواية عاجة بالاشخاص من مختلف الطبقات فانها في الواقع تدور وتستقطب اربعة أشخاص منهم : عائشة وعلي وعادل والناصر .

وتحكى الرواية قصة فتاة عاشت فى خضم من الاحداث القاهرة تتقاذفهـا امواج مجتمع متقلب مهزوم اضاع فيـه افراده كل توازن على صفحـة بحـر عاصف عتى الامواج تحركها نوازع لا قدرة لهم على السيطرة عليها .

ان البشير بن سلامة فى روايته « عائشة » يبدو وكأنـه نجيب محفـوظ مغاربى حقيقى ويتجلى ذلك واضحـا من خلال تعامله مع الاطـار التاريخـى والاجتماعى والفلسفى فى تونس . ولذلك رأينا المؤلف يحدد الاطار الزمنـى فى ايام الاحتلال الفرنسى مع بقاء المفاهيم العثمانية فى السلطة مثـل الباى والبيك وغير ذلك من المصطلحات السياسية الخاصة بالامبراطورية المنقرضة وكذلك يصور الكاتب حياة الناس فى تونس العاصمة عند تعرضها للقصـف الجوى من طرف الفرنسيين بهدف اذلال أهلها واخضاعهم لكن لم يات ذكـر فى رواية « عائشة » لاى مقاومة او لاى اعمال فدائية ضـد الجانـب المحتـل بالعكس من ذلك ذكر بن سلامة انصراف المجتمع التونسـى ومن مختلـف طبقاته . كما صـور ذلك من خـلال حياة الناس بالعاصمـة تونس . وهـذا بالطبع لا ينفى روح الوطنية عندهم فقد رأينا « عـادل » وهو ابن « الفريـك مصطفى » احد اثرياء البلاد ومن المقربين للسلطة استنكـاره لحال البـلاد والعباد واستخفافه بأبيه الذى كان يساير الحمايـة سرعان ما تتجاوزه هذه الوطنية العابرة ليغرق فى دنيا الملذات والليالى الحمراء ، وهـذا نفس حال الطاهر القروى ابن القروى الذى نزح الى تونس العاصمـة وهـو لا يعـرف القراءة ولا الكتابة فصـار متعلما ومحاسبا وتسلـق الدرجـات الاجتماعيـة « الدنيا لتذوب فيـه هو الاخـر النخوة الريفية وسط المزالق والملـذات ، تلك التى اسقطته فى النهاية الى الحضيض الاسفـل ليرجع كما خلـق اول مرة ليرجع الى حياة الحقل والبداوة ، لكن يرجع ومعه زوجتان وعدد كبيـر من الاطفال ، وهناك تتوج الاحداث بموت عائشة التى لفظها زوجهـا بدعوى الخيانة وبجبروت الناصر الذى هـو ابن غير شرعى للطاهر وسيطرته علـى اخوته وانقضاضه على زوجة ابيه الثانية « ضرة » امه زبيدة بان واقعها اكثر من مرة تحت جنح الظلام ، وتتلاشى الاوراق متساقطة منذرة بضياع خطيـر قاتل .

وبهذه يبرز البشيـر بن سـلامه صـاحب روايـة « عـائشة » ضعـف أو بالاحرى انعدام القيم الرادعة لدى عناصرها وابطالها وهذا بالفعل يدعو الى التساؤل عن سبب انعدام هذه القيم والمجتمع التونسى له بـاع طويل مـع أصول العثمانيين ومع الرصيد الحضارى السابق ، اللهم الا اذا أقنعنـا بـأن اشخاص الرواية ووقائعها من حبك الخيال او ان هناك تجاوز خلقى لمرحلـة

ما بسبب ضعف التوجيه أو بسبب ضعف الوازع في خضم حياة التسيب الاجتماعي وهذه مرحلة عرفتها جل المجتمعات المغربية في مرحلة من مراحل تطورها .

رواية «عائشه» يمكن القول بأن البشير بن سلامه هو فعلا نجيب محفوظ المغرب ونقول هذا للتشابه الكبير في رواية عائشة من حيث الشكل والمضمون بروايات نجيب محفوظ المصري في « بداية ونهاية » أو « القاهرة الجديدة » وغيرها .

ثم ان رواية عائشة هي رواية مغاربية بكل معنى الكلمة للشبه الحاصل ايضا في المفاهيم الفكرية والاجتماعية والمحيط العام بين مختلف بلدان المغرب .

وان كان من ملاحظة عامة على صعيد الاحداث والاسلوب اللغوى الذى صاغ به البشير بن سلامة روايته فنقول بأن المؤلف كان دوما يعمد الى عنصر المفاجاة واختصار الزمن الطويل من خلال سطر او سطرين ، فهو مثلا يختصر ما بين طلاق عائشة وزواجها من جديد من رجل شيخ في اقل من ثلاثة اسطر على رغم ما بين الحادث الاول والثاني من ايام ومناسبات ، واعتقد لو ركن المؤلف الى الاطالة لخرج باجزاء عدة لرواية واحدة اما الخاصية الثانية وهي الاسلوب فاننا نجد عند المؤلف طغيان المفاهيم والتعابير اللغوية البليغة الشيقة التى اخذها من القرآن وهذا فى فهمي يرجع الى ثقافة بن سلامة الاصيلة وكذلك نجد عنده ميزة أخرى وهي طريقة الاسترسال في الاسلوب التى تأخذ من خاصية الثقافة الفرنسية . وللاشارة فان البشير بن سلامة ولد في اكتوبر 1931 وعمل للغة العربية وادابها ورئيسا لتحرير مجلة « الفكر » التونسية ووزيرا للشؤون الثقافية بالجمهورية التونسية وله بالاضافة الى رواية « عائشة » عدة مؤلفات في اللغة والتاريخ والفكر .

● **تكريم الشاعر الهادى نعمان :**

أقيم حفل تكريم للاستاذ الشاعر الهادى نعمان صاحب ديوان «النغم الحائر» بلفتة كريمة سامية من طرف سيادة معالى وزير الشؤون الثقافية الأستاذ الكبير البشير بن سلامة وذلك يوم الجمعة 8 فيفرى 1985 على الساعة السادسة مساء بدار الثقافة ابن خلدون بتونس العاصمة وقد تولى تقديم الشاعر الهادى نعمان الاستاذ أبو زيان السعدى وقد شارك في هذا الحفل بأخذ الكلمة الاساتذة الادباء المنصف الهرقلى مدير اذاعة المنستير والحبيب شيبوب وسوف عبيد والطيب الفقيه احمد وعلى الشملي ومحمد البدوى

وأربعة شعراء عبد الله الزناد وحسين سفطة ومحمد بن صابر والتابعي الاخضر وفي الختام تناول الكلمة الاستاذ صلاح الدين بن حميدة الرئيس المدير العام للشركة التونسية للتوزيع بتونس فبشر الحاضرين بقرب صدور الديوان الثاني للشاعر الهادي نعمان عن هذه المؤسسة بعنوان : « حساب السنين » هذا وقد أقيم معرض وثائقي ببهو الدار يشتمل على شهائد الشاعر الهادي نعمان العلمية وعلى صور مختلفة للشاعر وعلى مجموعة كتابات عن الشاعر .

● **حساب السنين :**

قريبا سيصدر عن الشركة التونسية للتوزيع بتونس الديوان الثاني للشاعر الهادي نعمان بعنوان حساب السنين وهو يشتمل على ثلاثة اقسام ـ الاول ـ وجدانيات فلسفية والثاني : من وحي المجد والثالث : من سجل الخلود بمقدمتين الاولى للاستاذ الحبيب شيبوب والثانية للاستاذ محمد البدوي بالاضافة الى كلمة التصدير للاستاذ صلاح الدين بن حميدة الرئيس المدير العام للشركة التونسية للتوزيع وقد اهدى الشاعر ديوانه هذا الى زوجه تاجة نعمان .

● **قلنا :**

تحت هذا العنوان قرأ الاستاذ الهادي حموده الغزي بين يدي الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول يوم استقبل سيادته وفدا من بلدة حمام الغزاز ، بيتين من الشعر جاء فيهما قوله :

قلنا : « الثقافة حزبنا وحبيبنا — ومحمد في فكره « قوام »

قالوا:«وايضا»٠٠ قالت الاغزاز:«لا !» — رفع الكتاب وجفت الاقلام

● **ثلاثة احداث ثقافية بتوزر :**

هذه الاحداث الثقافية الثلاث قام بتغطيتها الصديق الاديب احمد الفهيري وقد جاء فيها :

◆ حفل تكريم لثلاثة كتاب :

نظمت المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بتوزر أخيرا حفل تكريم أقيم على شرف ثلاثة من الكتاب وهم :

1) صالح الحاجة ، بمناسبة احرازه على جائزة الابداع من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

2) محيي الدين عزوز . بمناسبة صدور كتابه الجديد : المعقول واللامعقول في فلسفة الغزالي .

3) عمر عز الدين . بمناسبة صدور مجموعته القصصية الاولى : أشواق بـلا حـدود .

بادرة طيبة تستحق الشكر والثناء فاحلى ما يمكن ان نقدمه لمبدعينا كلمة طيبة تشجعهم على المضى قدما فى طريقهم الصعب .

◆ تبادل ثقافى بين نفطة والرقبة :

كان هواة الادب على موعد نادر فى الايام الاخيرة بدار الثقافة بنفطة حيث انتظمت جلسة أدبية ضمت عددا من اعضاء النادى الادبى « بالرقبة » ولاية تطاوين وجمهورا من المولعين بالادب والثقافة .

وكما هو معروف فان النادى الادبى « بالرقبة » نشيط وله مجلة قيمة يصدرها دوريا تحت عنوان « المشعل الادبى » .

واذا وصفنا اللقاء فى أول حديثنا بكونه « نادرا » فذلك لان مثل هذه اللقاءات الادبية لا تتكرر دائما .

اما الجلسة الادبية فقد كانت متنوعة اذ احتوت على جانبين هما : الشعر والقصة .

بالنسبة للشعر : قرأ شاعران هما : عبد السلام الدرقاش وعلى الجليدى

فى باب القصة . قرأ الاستاذ القصاص : حامد عبد المجيد قصة بعنوان « تحولات » .

اما تدخلات الحاضرين فقد كانت معمقة الشىء الذى اضفى على الجلسة كثيرا من الجدية .

◆ الايام الادبية الاولى بنفطة :

على امتداد المسافة الفاصلة بين 29 و 31 جانفى 1985 نظمت دار الثقافة مصطفى خريف بنفطة أياما أدبية أولى .

فى اليوم الاول قرأ احمد الفهيرى بعضا من انتاجه القصصى الذى كان منطلقا لنقاش معمق شارك فيه المتدخلون بآرائهم وتصوراتهم حول العمل الادبى والقصصى بصفة خاصة .

اليوم الثانـي :

ـ حصة أولى : امسية شعرية .

قرأ الشاعر محمد الامين الشريف ثلاث قصائد وهـي : استقراءات فـي وجه واعدتي . لسيدة الفرح العربي أغني ، أنت معذبتي هاجس لا يلين .

القصـائد الثـلاث تميزت بشفافية الكلمة الشعريـة وبتوظيـف لبعض العناصر التراثية والتاريخية برج بابل ـ الاهرام ... الخ. خدمـة لاغراض هذه القصائد التى جاءت مصطبغة بجو حالم واقول متفائل .

نفس الشاعر تبدو فى هذه الآثار الشعرية متعبـة .. مـرهقة .. محملـة باوجاع دفينة تعذبها وقد يكون ذلك بسبب المحيط الذى تعيش فيه (العالم العربى) وما يحتوى عليه من عذابات وجراحات وآلام .

الحصة الثانية : مداخلة نقدية .

ساهم الاستاذ الباحث : الشاذلي الساكر بمداخلة نقدية بعنوان : موجة النقد الادبى الحديث فى فرنسا وفيها استعرض الكاتب سبع مدارس نقديـة معاصرة مستجليا الاطروحات التى تقول بها والخصائص المميزة لكل واحدة منها .

وقد اسهب الاستاذ الساكر فى التحليل والعرض والشرح مقدما الامثلة والاستشهادات الضافية مما مكن الكثير من الحاضرين وخاصة منهم التلاميذ والطلبة من الاطلاع والاستفادة مـن هذه المداخلة القيمة التى كانت منطلقـا لحديث طويل عن النقد الادبى واشكالياتـه .

● ندوة نقدية حول ديوان « واجهش بالغضب » :

التأمت مساء يوم الجمعة 15 مارس 1985 ندوة نقدية حول ديوان : « وأجهش بالغضب » للشاعر الصادق شرف بدار الثقافة بحامة ـ قابس حضرها جمع غفير من الطلبة والمثقفين بالجهة .

وقد استمع الحاضرون الى عدة قراءات ومداخلات نقدية نذكـر من بينهـا قراءة الاديب الشاب : فاضل الناجح .

وقد دعي الشاعر من طرف اللجنة الثقافية الجهوية بقابس وتجشم مشاق التنقل من تونس الى الحامة وحضر الندوة التى تمت فى جو مشجع وحيوية وحوار مفيد .